# سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (28) | 1 / 4 /2012 | أسبوعية | تصدر عن شباب سوري حر

# . . . وتستمر الثورة.

# تنسيقية حمص تناشد المنظمات الإنسانية التدخل لسحب جثث القتلى من الشوارع

بينما يدعو النظام مؤيديه للمشاركة في مسيرة لدعم مواقفه، في ساحة السبع بحرات وسط العاصمة دمشق في مناسبة يوم الأرض في محاولة لتوجيه الأنظار إلى غزة والتضامن مع الشعب الفلسطيني المحاصر تحت الاحتلال، تستمر قوات الأمن والجيش النظامي وقطعان الشبيحة، في دك المناطق الساخنة في البلاد بقذائف المدفعية، الأمر الذي لم يمنع خروج المتظاهرين إلى الشارع، في جمعة «خذلنا العرب والمسلمون» للتعبير عن عدم رضا، وتوجيه رسالة عتب على الدول العربية والإسلامية لعجزها عن «نصرة السوريين» ووضع حد للقتل الذي يستهدف المدنيين.

وفي نداء إلى المنظمات الإنسانية، طالبت تنسيقية حمص في «لجان التنسيق المحلية» بسحب الجثث من الشوارع، على خلفية «استمرار جرائم النظام المثيرة للاشمئزاز وبشكل يثير الذهول، وخصوصا جريمة منع الأهالي في حمص وغيرها من المدن السورية من سحب جثث أبنائهم».

وتوقفت التنسيقية في ندائها عند «ما حصل منذ 4 أيام في شارع أبو العوف في حي باب هود، فقد أطلقت قوات الأمن الرصاص على رجل وابنه الصغير وهما يعبران الشارع المذكور بسيارتهما الخاصة، فسقطا شهيدين، وعندما حاول أحد الشبان الأحرار إنقاذهما سقط شهيدا برصاص قناص الأمن المتمركز على مبنى المهندسين في نفس الشارع». وأوضحت أنه «منذ ذلك الوقت وحتى اللحظة يحبط قناصة قوات الأمن أي محاولة لسحب جثث الشهداء الثلاث المرمية في الشارع بإطلاق النار مباشرة على من يحاول ذلك، والأمر عينه ينطبق على جثث عدد كبير من الشهداء ما زالوا مرميين في شوارع المدينة منذ أيام، دون أي إمكانية لسحبها وإكرامها بدفنها بما يليق بكرامة الميت التي يوليها مجتمعنا وأعرافه عناية وتقديرا خاصين».

## واشنطن بوست: خطة كوفي عنان للسلام ستار للأسد لمواصلة القمع ضد شعبه

اعتبرت صحيفة (واشنطن بوست) الأمريكية السبت أن خطة إعادة السلام لسوريا التي قدمها المبعوث المشترك للأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي عنان، بمثابة ستار لعمليات الأسد القمعية تجاه شعبه على الرغم من أن إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما لا تزال تراهن على هذه المبادرة، وترفض الخيارات الأخرى كإنشاء منطقة آمنة في سوريا.

وذكرت الصحيفة أنه على الرغم من مرور 10 أيام على طرح خطة إعادة السلام لسوريا والتي وصفها مبعوث أوباما بأنها "أفضل وسيلة لوضع حد لأعمال العنف تجاه الشعب السوري، وتسهيل مسألة تقديم المساعدة الإنسانية ودفع عجلة التحول السياسي السوري"، إلا أن تلك الفترة قد شهدت، وفقا لتقارير مركز الاتصالات والبحوث الإستراتيجي بلندن، استمرار سقوط الضحايا والذين وصل عددهم إلى أكثر من 624 شخصا.

وقالت الصحيفة - في سياق تعليق أوردته على موقعها الإلكتروني - إنه بالرغم من موافقة الرئيس السوري بشار الأسد على خطة أنان الداعية إلى انسحاب القوات السورية والدبابات والمدفعيات من المدن والبلدات السورية إلا أنه بعد ثلاثة أيام من إعلان قرار الموافقة هاجمت قوات الأسد المتظاهرين ببلدة القورية وأطلقت النيران عليهم مما أسفر عن مقتل 8 أشخاص.

وأوضحت الصحيفة أن نتائج الخطة يمكن التنبؤ بها في الوقت الذي أعربت فيه إدارة أوباما عن دعمها للخطة.. لافتة إلى ما قاله المتحدث باسم الخارجية الأمريكية مارك تونر "نحن ندعم بشكل كبير جهود أنان وسنمنحه الوقت والحيز الدبلوماسي الكافي لاستكمال هذا المهام".

## بدء التحضيرات لمؤتمر الوفاق الوطني السوري

بدأت في دمشق الاجتماعات والورشات التحضيرية لمؤتمر الوفاق الوطني تشارك فيها عدد من القوى السياسية والمدنية والشخصيات المستقلة السورية المعارضة. وقد بدأت التحضيرات بعقد ورشة شبابية في ٢٨ آذار للإجابة على أسئلة مثل ماذا يريد الشباب من المؤتمر ومن المعارضة السياسية عموما. وعقد الاجتماع التحضيري الأول في ٢٩ آذار وشارك فيه مستقلون وتيارات سياسية معارضة ومجموعات مدنية. تناول الاجتماع مناقشة عدة نقاط لطرحها في المؤتمر المُزمع عقده قريباً تحت شعار "بإرادتنا نقرر مصيرنا وبأيدينا نبني مستقبلنا".

مشروع الوفاق هو أكثر من مؤتمر، فسوف يتم العمل عليه بشكل مرحلي. لأن الوصول إلى وفاق وطني يقتضي العمل على بناء هذا التوافق بين المجموعات المختلفة عن طريق الحوار لتقريب وجهات النظر ومناقشة سبل الحل السلمية والسياسية.

تتناول هذه الاجتماعات وورشات العمل توصيف الواقع الراهن وتحديد واقع القوى الفاعلة في الساحة السياسية السورية، ودور المجتمع الدولي والإقليمي والعربي في تعقيد أو حل الأزمة السورية. وكذلك يتم عرض جميع الوسائل والأدوات النضالية الممكنة، وأثر كل منها على مستقبل سوريا. كما يتم عرض جميع المخاطر المستجدة التي تتهدد وحدة البلاد وسلامة المواطنين.

## الأمريكيون يعترضون سفينة أسلحة للمقاتلين وسفن روسية تحاصر شواطئ لبنان وسوريا

كشف بسام جعارة، المتحدث باسم الهيئة العامة للثورة السورية في أوروبا، في تصريح لمحطة العربية، عن قيام السفن الروسية بمحاصرة الشواطئ اللبنانية والسورية.

وأكد أن هذه المعلومات مع أسماء السفن ستنشر قريباً على كافة وكالات الأنباء في الساعات القادمة، نافياً أن تكون مجرد شائعة. كما أشار إلى قيام "الأمريكيين" باعتراض سفينة محملة بالأسلحة للمقاتلين.

وأعرب عن تشاؤمه حيال مؤتمر أصدقاء سوريا الذي سيعقد غداً في إسطنبول، وأضاف أنه لا توجد أي آمال على الإطلاق بشأن الغد.

وعزا المشكلة ليس فقط إلى موقف روسيا، التي تحاصر سفنها الشواطئ اللبنانية والسورية مانعة تسليح المعارضين، وهي التي تدعم النظام بالسلاح، بل إلى الموقف الأمريكي المفضوح، وهنا تكمن المشكلة.

ولفت إلى أن كلينتون ذهبت إلى السعودية لتحاول الضغط على المملكة السعودية وعلى قطر، من أجل القبول بتسوية مع النظام، ولمنع وصول السلاح إلى الشعب السوري وتخفيف اللهجة في مؤتمر إسطنبول.

إلى ذلك، أبدى جعارة تقديره للموقف السعودي الرافض للضغوط وكذلك القطري، لكنه لفت إلى وجود إجراءات مشابهة للإجراءات الروسية تتخذها أمريكا، لمنع وصول السلاح إلى الشعب السوري.

وأكد وجود ضغوط أمريكية على تركيا وعلى مختلف أصدقاء الشعب السوري لمنع توريد السلاح إلى سوريا. كما كشف عن تهديد وجه لأحد أطراف 14 آذار اللبنانية لمنع دعم الشعب السوري، وتم ذلك منذ عدة أيام.

وقال إن الموقفين الروسي والأمريكي واحد، ويريدان تسوية على حساب الشعب السوري. ولفت إلى أنه "يبشر" جماعة بشار الأسد أن الكل في الغرف المغلقة يقول إن هذا النظام أصبح من الماضي، لكن الخلاف معهم هو حول النظام الأمني الذي يريدون بقاءه.

وأضاف أن روسيا وخامنئي مستعدان للتخلي عن بشار مقابل تأمين مصالحهم الأمنية.

كما أكد أنه سيكون هناك حكومة جديدة في سوريا في الأيام المقبلة، لكنه شدد على أنها ستكون حكومة النظام، وستضم بعض من يسمون أنفسهم معارضون.

أما عن "الأوفر" حظاً، فقال إنه سيكون قدري جميل، بالإضافة إلى 3 أسماء أخرى من لندن، ووزيرين كرديين يحاولان رشوة الأكراد.

وختم بالقول إنه لا يوجد خلاف مع الأكراد، لكنه أضاف أن المعارضة لا تستطيع أن تمنح الأكراد اليوم اللامركزية، بل تطلب منهم أن يكونوا سوريين، لكي يتمكنوا من إيصال أحدهم إلى رئاسة الجمهورية.

وأضاف شارحاً أنه حين يتكلم الأكراد عن قومية ثانية، فهم عندها لا يطالبون بالمساواة، بل بما هو أقل.

# بيان إطلاق "سوريات من أجل التنمية الإنسانية"

منذ سنة يتابع السوريون النضال من أجل انتصار ثورتهم على الاستبداد الأسدي، فيما يقوم النظام بالقتل وقصف المدن، والتدمير العمراني، بعد أن ثابر منذ نشوئه، على تدميره سياسياً واجتماعياً وأخلاقياً. ونتيجة العنف المتواصل والقصف الوحشي والقتل والإجرام لجأ الناس إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم، وانشق مئات الضباط والجنود وشكلوا "الجيش السوري الحر"، وصار هناك خطان متلازمان للثورة، يسيران جنباً إلى جنب: خط عسكري وخط سلمي.

ومع ازدياد حالات العنف والقتل، تدفع النساء والأطفال: ثمناً كبيراً، كما يحصل عادة في الحروب. ولدى متابعة مجريات التجربة في تونس ومصر وليبيا، يصبح واضحاً أن النساء يتحملن عواقب فادحة مضاعفة، تتمثل في تهديد حرياتهن، وفي سلبهن مكتسبات حصّلنها بنضال مرير، على عادة ما يحدث في المراحل الانتقالية، لسقوط الأنظمة الاستبدادية. ذلك يفرض أهمية أن نبدأ العمل منذ الآن، وقبل سقوط النظام السوري، على إطلاق منظمات مدنية تُعنى بالشأن الإنساني، في طليعتها إقامة منظمة تكون بمثابة النواة الأولى لمؤسسات تتولى متابعة أحوال النساء على الصعيدين الإنساني والحقوقي.

تحمل المنظمة اسم "سوريات ديمقراطيات من أجل التنمية"، وتباشر أشغالها على مرحلتين:

## المرحلة الأولى: إغاثية وإسعافية

تتضمن متابعة أحوال النساء منذ بدء الثورة، في المستويات التالية:

1- توثيق حالات الانتهاكات النفسية والجسدية، وملاحقة واعتقال وتعذيب وقدح وذم، ومتابعة هذه الحالات عبر القضاء بشكل منهج، تمهيداً لتحويلها إلى ملف جنائي شامل، يُقدّم للمحاكم الدولية المتخصصة.

2- متابعة أوضاع النساء المغتصبات، وتقديم الدعم النفسي والمادي لهن، ومنحهن الفرصة لاختيار شريك المستقبل بعيداً عن نظرة الدونية والعطف والاحتواء و"الستْرة" السائدة. وهذا سوف يسعى إلى تأمين ودعم استقلالهن الاقتصادي، كخطوة أولى نحو أن تقرر كل واحدة منهنّ مصيرها بنفسها.

3- التحالف مع منظمات تعمل على متابعة الأوضاع العائلية، وخاصة احتياجات الأطفال، عند النساء اللواتي بقين بلا معيل، ووضع إمكانيات الجمعية البشرية والمادية المتاحة في سبيل إنجاح مهمتها.

## المرحلة الثانية: بحثية حقوقية إنسانية

ستكون إحدى أبرز مهام "سوريات ديمقراطيات من أجل التنمية" هي متابعة تطبيق قانون الأحوال الشخصية، وضمان الحفاظ على حقوق النساء، وذلك بالنظر إلى المخاوف التي تعتري الكثيرين من مرحلة ما بعد سقوط النظام، واحتمال تغييب قضايا النساء وتهميشهنّ. وسيتم العمل، مع فريق حقوقي، لصياغة قانون أحوال شخصية جديد، يتوافق والروح الثقافية والاجتماعية للمجتمع السوري، ويحفظ للإنسان كرامته وحريته، ويتيح للنساء المشاركة فعلياً في الحياة العامة ديمقراطياً مثلها مثل الرجل. وسيتم عقد حلقات بحث مطوّلة حول هذا الأمر بين عدة أطراف سورية، من الاتجاهات الدينية والعلمانية والليبرالية كافة، للوصول إلى صيغة توافقية وضامنة لحقوق النساء إن في صوغ الدستور الجديد أو في ورشة تعديل القوانين في شتى المجالات (العقوبات، الانتخابات، الأحوال الشخصية، الخ).

ويجدر التشديد على أنّ تجمع "سوريات ديمقراطيات من أجل التنمية" يتشكل في الخارج لأسباب قاهرة ومؤقتة، ومن المحتّم أن ينتقل إلى سورية بعد سقوط النظام، حيث سيعمل عبر شبكة من المتطوعات والمتطوعين، ويغطي الجغرافيا السورية وخاصة في المناطق والمواقع التي شهدت فعاليات أوسع خلال الانتفاضة، وبالتالي تعرّض أهلها لأذى أشدّ نتيجة حملات الجيش والأمن والشبيحة.

كذلك من الضروري التشديد على أنّ القسم الحقوقي في المنظمة سوف يتحوّل إلى مركز أبحاث ودراسات، حول واقع النساء والحياة الأسرية إجمالاً. كما أنه سوف يبدأ، ويواصل العمل، كمؤسسة غير ربحية، وغير نفعية.

إن العمل منذ الآن على نزع المخاوف التي قد تقترن بمآلات سقوط النظام، والتي تفرضها أيضاً خصائص الواقع السياسي والاجتماعي، وما تراكم عبر عقود طويلة من إلغاء دولة المواطنة والحقوق المدنية، سوف يكون كفيلاً بتجنيب السوريين الكثير من المصاعب والآلام، وسيجعل الدرب إلى الآمال المعلقة على الثورة أقل وعورة، وأصدق وعداً.

# الثورة التي جعلتني وحيداً أمام لغتي

■ خالد خليفة

كثيراً ما فكرت بالكتابة قبل الثورة، ووصلت إلى نتائج بأن أفضل ما حصل في حياتي أنني كاتب، وأسهبت في الحديث عن قدرة الكتابة على إدخال الرعب إلى قلوب الطغاة وهز عروشهم. إلا أنني الآن تنتابني مشاعر مختلفة تماماً وأشعر بأن الثورة قد هدمت كل يقيني، ولأنني هنا كي لا أخفي عليكم مشاعري التي انتابتني في الأشهر الأخيرة بخاصة في أسابيع قصف حمص فإنني أخبركم بأنني في لحظات كثيرة حلمت بأنني مصارع، ملاكم، لاعب كاراتيه، تاجر سلاح، قناص، أي شيء آخر يستطيع أن يحمي طفلاً من موت محقق بقذيفة دبابة. ولأن هذه المشاعر انتابتني لحظات كثيرة فهي جديرة بالتفكير وإعادة طرح أسئلة الكتابة في زمن الثورات لاسيما أنني أدعي أنني شهدت بطولات خارقة لشعب تقترب شجاعته من التراجيديا والأسطورة. وفي الطرف المقابل قرأت نصوصاً تافهة لا قيمة لها، لن تصمد طويلاً كآلاف النصوص التي كتبت في لحظات عصيبة دفاعاً عن قضايا عظيمة، وأفكر بأنّ غالباً ما بقيت قصص وحكايات هذه القضايا ورواياتها وأغانيها من دون رواة، بقيت القضايا وذهبت النصوص التافهة.

سنوات طويلة وأنا أسخر من الكتاب الذين يخبرونني أنهم يقيمون في اللغة ولا تهزهم الأحداث المباشرة، ولكنني في الثورة السورية حسدتهم برغم احتقاري لهم لتجاهلهم دم شعبهم، وبقائهم في اللغة التي قام المتظاهرون بإعادة صياغتها أغاني حماسية أرددها عن طيب خاطر، كما أتخلى عن صفتي وأسير وراء شباب يتقنون الهتاف والهروب من الرصاص، تخليت عن صفاتي وبقيت قريباً من هؤلاء الجرحى متنازلاً عن طيبة خاطر عن امتيازات الكاتب لطبيب شاب يستطيع أن ينقذ شاباً جريحاً في مستشفى ميداني بارد، مرمي وسط حقول واسعة، متنازلاً عن كل ما أملك لمغنّ بسيط وفقير كإبراهيم القاشوش استطاع بث الرعب في قلب النظام بأغانيه التي كان يؤلفها مع رفاقه في غرف فقيرة، ليهتف بها يوم الجمعة أكثر من نصف مليون متظاهر وتنتقل عبر الأثير إلى كل أنحاء البلاد، ببساطة قال للطاغية نحن نريدك أن ترحل، وترك للسوريين أغانيهم الخالدة.

الثورة السورية لم تقلب معادلات الشرق الأوسط السياسية وتبشر بتفكيك أحلاف تاريخية، بل خلخلت من أنانيتي وجعلت مني كائناً يستجدي فعلاً لا يمكن للثورة أن تستمر من دونه، الركض في الشوارع وراء شباب للحاق بتظاهرتهم والبحث عن أدوية يقوم شباب فدائيون بتوصيلها إلى حمص، والكثير من الأفعال التي من دونها لن تكتمل معاني الحرية كما لن تكتمل الرواية التي يحلم كل كتاب العالم بكتابتها وأقصد هنا رواية الثورة السورية.

لا أخفيكم أنني مارست دوري ككاتب ونشرت قضية شعبي في كل مكان استطعت الوصول إليه، ولكن هذه المرة بإحساس مختلف تماماً، إحساس من يقوم بدور أقل من أولئك الأبطال المجهولين الطيبين الذين يرجوننا أن لا نعرض أنفسنا للخطر ويحمونا بأجسادهم، إحساس من يقف قرب جريح ويلقي قصيدة رائعة عن الثورة والحب والتضحية. ولأن الكتابة ليست كلاماً كما هي الثورة لذلك ترون نصي مفككاً لا يشبه أي نص آخر كتبته سابقاً لأنني ببساطة أعيش وسط ثورة تركتني عارياً أمام اللغة وأعادت علي سؤالاً مرعباً: كيف ستكتب في ما بعد، سيرة كل هذه الروايات؟ أحتاج وقتاً كي أفكر بسؤالكم عن الكتابة والثورة لأنني يجب أن أفكر بمفهوم البطولة وأعود إلى تلك المنطقة الباردة التي لا يمكن كتابة عظيمة أن تُنتج خارجها، كتابة ناقدة، متأملة، حقيقية ومنصفة، لكنها هذه المرة تتحدث عن ضعف الكتابة أمام كل هؤلاء الثائرين الشجعان الذين يثبتون لي أنهم من لحم ودم، أرى أفراحهم واحتفالهم بخروج صديق من المعتقل، وبعد ساعات أتلمس غضبهم وهم يشيّعون شهيداً. أنا الآن مثلهم مادة للكتابة ولست كاتباً، لأنّ ببساطة، يمكن تأجيل الكتابة ولكن لا يمكن تأجيل الثورة.

* هذا النص ألقاه الروائي السوري خالد خليفة في ندوة عقدتها الجامعة الأميركية – بيروت حول «الكتابة في الثورة» وشارك فيها كتاب عرب: أهداف سويف، كمال الرياحي، ناديا الكوكباني، علي الجلاوي وأدارها الروائي الياس خوري.

الحياة اللندنية 25 / 3 / 2012

# العلاقات العراقية السورية
# قطرة دمٍ.. ونفطٍ.. وماءٍ..

■ ياسر مرزوق

لعلَ الحَـزن الـذي يخيـم على وطننـا اليـوم والحـزن بفتـح الحـاء وبحسـب "الفيـروز أبـادي" هـو الهم الشـديد والألم بأقصى حالاته يدعونا للتطلـع نحـو محيطنا العربـي باحثين عن حلول أو نصـرة من الإخوة العرب، وفي ملفنـا اليوم نبحث فـي العلاقات السـورية مـع العـراق الـذي يقف من الثـورة السـورية موقفـاً لا يرضـي المعارضـة ولا يرضـي النظـام، فبعد حربـي الخليـج الأولـى والثانيـة، بدت أحـلام العروبـة وعنـد الطيـف الأكبر من المثقفين أحلاماً تكسـرت أجنحتها وحطت على الأرض، فلا هي تقوم ولا هي تنام، فالدول العربية القائمة قبل الربيـع العربـي، مشـاريعٌ تحولت إلى نظم، ضاعت المشـاريع وبقيت النظم بـلا شـرعية تعطيهـا معنـى أو قيمة، وقبائـل تحولت إلـى جيوش في نفس الوقت الـذي تتحول فيـه الجيوش إلى قبائل وتلح الأسـئلة عن جدوى اجتماع القمـة العربيـة في بغـداد، قمةٌ تغيب عنها سـوريا، وسـوريا هي الغائب فلا النظام سـيحضر لتجميد عضويته، ولا المعارضة مدعوة للمشـاركة، كممثل لطيفٍ من الشارع السوري.

أعادت الأزمة السـورية إشـكالية الهويـة العربيـة إلـى المقدمـة، بعـد غيـابٍ طويل، مع أنني شـخصياً أدعي الانتمـاء للتيار المعارض في سـورياً، ليس لي أن أسلم بوقوف الإخوة العرب مع الثورة في سـوريا أو حرصهم على الديمقراطيـة أو الحريـة فـي وطننـا الجريح. فعدم شـرعية الـدور الإيراني في الشـأن السوري لا يعني بالضرورة شـرعية الـدور السـعودي أو القطري، فنحن أمـام عالم عربـي تحكمه ثلاث قطـرات: قطـرةٌ بتـرول. وقطـرة دم. وقطرة مـاء والقطرات الثلاث لا تمتزج عالمٌ عربي تحكمه مؤثرات تهب عليه من خارجه، وتدفع أشرعته إلى أي اتجاه تريد. إن الخطر الحقيقي الذي تواجهه الثورة السورية هو أن تتحول "دمشق" إلـى "جالديران" يثـأر الصفويون فيها لهزيمتهـم أمام العثمانيين منذ سـتة قـرون بكل مـا للثأر والحالـة هذه من أبعـادٍ طائفيـةٍ أو دينيـة تضيع معها أحلام السوريين بالحرية والكرامة.

يخبرنـا صاحـب قصـة الحضـارة عن حضارةٍ سـاميةٍ غامضة، سـبقت السومريين في جنوب العراق هي التي أطلقت على الداخل السـوري تسـمية " سـيريون" أي الهضبـة المرتفعـة، فالعلاقـات السـورية العراقية سـبقت حتـى المدنيـات المعروفـة وتاريخيـاً يبدو من المسـتحيل فهم الجدلية التي تحكـم علاقة الإخـوة الأعـداء، فماري وإيبلا حضاراتٌ سورية عراقية وآشور وبابل عاشـت مجدها حين تمكنت من السـيطرة على الداخل السـوري لتنتج تلاقحـاً ثقافيا وتشـريعياً كان له الأثر الأكبر على الحضارة الإنسانية جمعاء، وسوريا المسيحية عاشت مجدها حين انتقلت المسـيحية إلى العراق ونشـأت الكنائـس الكبرى وظهر آباء الكنيسـة العظـام فـي البلديـن، ومـع انقسـام العالـم القديم إلى منطقتي نفوذ كان العراق من حصة الفرس وسـوريا من حصـة بيزنطـة، وبقيـت الحـال حتى ظهـور الإسـلام ودخـول البلديـن في الإمبراطوريـة الإسـلامية العربيـة، ولعله من مكر التاريخ أن يشهد البلدان الانشـقاق الإسـلامي الأول فـ "علـي رضـي اللّه عنـه " اغتيـل فـي الكوفة ومعاويـة بقـي محصنـاً فـي قصـره بدمشـق، و"صفين" المعركة الفاصلة فـي التاريخ الإسـلامي لا تبعـد كثيراً عن حلب، فأضحت دمشـق "الأمويين" عاصمـة العالـم الإسـلامي حتـى أتت الرايات السـود من الشـرق لتنقل لواء الزعامـة إلى بغداد" العباسـيين". ولم تسلم الحاضرتان من الهجمة المغولية البربرية الآتية من الشـرق، كما دخلتا تحـت سـيطرة العثمانيين فـي الفترة عينها تقريبـاً وتحررتا في الوقت عينه أيضاً.

## الثورة العربية وفترة مابين الحربين

مـع انـدلاع الثـورة العربية الكبرى كان مقـدراً للدولتيـن الشـقيقتين أن تتوحـدا تحـت حكم الشـريف حسـين وأبناءه، إلا أنـه وفي الوقت عينه كانت بريطانيا وفرنسا تقتسـمان المنطقة متجاهلتين وعودهما السابقة، وننقل عـن السـير " الك كيـر كبرايـد" " أحد موظفي الحكومة البريطانية وقد عرف الهاشـميين جيـداً آنئذ، واصفـاً ميثاق الأسـرة بمـا يلـي: " وافق "الحسـين" وأبنـاؤه علـى أن يخلـف "علـي" الابن الأكبـر أبـاه علـى الحجـاز، وان يصبح "عبـد اللّه " الابـن الثانـي ملـكاً علـى العـراق، وأن يصبـح "فيصـل " الابـن الثالث ملكاً على سوريا، وعندما انتهى القتال عام 1918 أعلن فيصل نفسـه ملكاً علـى سـوريا بعد أشـهر وأصبح الأب ملكاً على الحجـاز، لكن الخطة ما لبثـت أن تمزقت، ففيصـل لم يتوصل إلى اتفاق مع فرنسـا ذات المطامع في سوريا، فطرده جيشها من دمشق عام 1920فلـم يذهـب لموطنـه مهزومـاً وإنمـا توجه بدهاء إلى مؤتمر السـلام المعقـود في باريس، حيـث بزغ نجمه مرشـحا للعرش في العراق فتوج ملكاً في بغداد عام 1921 ".

وفـي فتـرة مـا بيـن الحربيـن راقبت سـوريا بعين الحسـد التطورات الدسـتورية التـي أدخلتهـا بريطانيـا في العـراق، وكانـت النخب السـورية تطمـح لمعاهدة على نسـق المعاهدة البريطانيـة ـ العراقية عام 1930 التي أنهت الانتـداب البريطاني للعراق وقد سـاعد العراق السـوريين في نضالهم ضد الفرنسـيين عسـكرياً وسياسـياً، وجعـل من أرضـه ملجـأً للهاربين من القمـع الفرنسـي وسـعى عـام 1936 للضغـط علـى الحكومـة البريطانيـة لدعم موقف الوفد السـوري المفاوض في حينه.

عـام 1941أراد ملك الأردن "عبد اللّه" أن يوحد سـورية الكبرى بمعونة بريطانيـة فتدخلت مصر والسـعودية لإجهاض المحاولة، وبقيت أحلام الوحدة بين البلدين تتجدد بعد استقلال سوريا بل أضحت المحرك الأساسي للسياسة السـورية فطـرح نوري السـعيد فكرة الاتحاد الفيدرالي بين سـورية الكبرى والعـراق وتـم إجهـاض هـذه الفكرة بواسـطة الرئيـس "شـكري القوتلي" ذو الـولاء البيّـن لمصر والسـعودية، وفي عـام 1949 وبعد أن قـام انقلاب حسـني الزعيم في سورية زار حسني الزعيـم مصر، وبعـد أن عاد من مصر أوقف مسـاعي الوحدة مع العراق... ثم قـام انقلاب سـامي الحناوي في نفس العـام وكان حزب الشـعب الحاكم في سـورية حينهـا يعتـزم إعـلان الوحدة مع العـراق، ولكـن مصر والسـعودية حرضتا أديب الشيشكلي على الانقلاب وإفشـال الوحدة مع العـراق التي كانت قـاب قوسـين أو أدنى... ومنـذ تاريخه تحول الشارع السـوري ونتيجةً للثورة المصريـة وبـزوغ نجـم عبـد الناصر والمشـروع القومـي العربـي نحـو الوحـدة مع مصر، والذي تـوّج بإعلان الوحـدة وقيام الجمهورية المتحدة عام 1958، وفي العام نفسـه قامت حركة 14 تمـوز فـي العـراق والتـي قضـت علـى النظـام الملكـي وجـاءت بنظام حكم ميال لليسـار، لعبـت الجمهورية العربيـة المتحـدة - والقطر السـوري منها بالـذات - دوراً فاعلاً في محاولات تقويض الحكومة العراقية التي قادها عبد الكريم قاسـم، بمـا في ذلك دعم وتسـليح العناصـر المناوئة لـه والتي حاولت الانقلاب عليه أكثر من مرة.

## فترة حكم البعث

بعـد نجـاح حـزب البعـث العراقي فـي القضـاء على نظـام عبـد الكريم قاسـم فـي 8 شـباط 1963، وانهيـار دولة الوحدة وتسـلم البعثيين السلطة في دمشـق بعد شـهر واحـد بالضبط، شـهدت العلاقـات بين سـوريا والعراق تحسـنا ملحوظـاً. إلا أن العلاقـات بيـن البلديـن الجاريـن بقيـت وعلـى مـدى العقـود الخمسـة الماضية منذ تسـلم حزب البعث زمام السـلطة في دمشـق وبغداد عـام 1963، محكومةً بالعلاقات بين أجنحة هذا الحزب الذي أسسـه عام 1947 في دمشق كل من ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار. فحكم البعث في العراق سـرعان ما تصـدع نتيجة صراع داخلي بين جناحيه المدني والعسكري. وقـد اصطلح على تسـمية الجناح الأول بـ"بعث اليسـار أو "جماعة سوريا "بينما سـمي الآخر بـ"بعـث اليميـن " بلغ هذا الصراع أشـده في شهر تشـرين الثاني نوفمبـر 1963، وفي الثالث عشـر منه علـى وجـه التحديد، حيث حلـت القيادة القوميـة للحـزب "والتـي كان مركزها دمشق" قيادة العراق وتولت حكم البلاد حكما مباشـرا. إلا أن هذا الحال لم يدم طويـلاً، حيـث انقلـب ضبـاط الجيـش العراقي من القوميين على البعثيين في الثامن عشر من تشرين الثاني، وأقاموا حكومةً برئاسة عبد السلام عارف "الذي

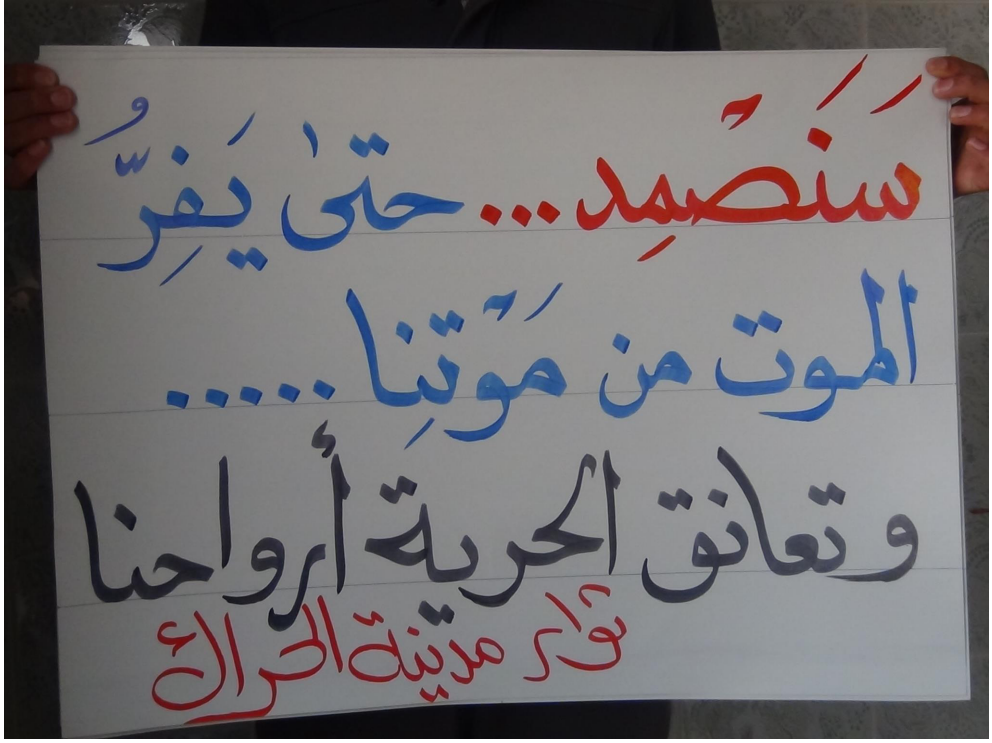


قتل في حادث طائرة قرب البصرة عام 1965". وقد كان عارف وحدوي التوجه، وحاول إبان فترة حكمه التقرب من سوريا البعثية ومصر الناصرية، وفعلاً تم التوقيع على معاهدة للدفاع المشترك بين سوريا والعراق

وفي شهر تموز 1968، نجح الجناح العسكري اليميني من حزب البعث في ترتيب حركة في العراق أطاحت بحكومة عبدالرحمن عارف "الذي جاء للحكم بعد مقتل شقيقه عبد السلام" وكان هذا الجناح يمثله عناصر مثل أحمد حسن البكر" الذي أصبح رئيسا للبلاد" وصدام حسين "الذي سرعان ما أصبح نائباً للبكر، والشخص القوي في العراق" حردان التكريتي" (الذي أصبح قائداً للجيش).

بدأت الخلافات بين الجناحين السوري "اليساري" والعراقي "بعث اليمين" بالظهور إلى السطح بشكل جلي بعد ذلك بقليل، وخصوصاً بعد تسلم حافظ الأسد مقاليد الأمور في دمشق عام 1970. فقد اتهم العراق سوريا بتجاهله عندما خططت دمشق والقاهرة لشن حرب 1973 ضد إسرائيل، إلا أن هذا لم يمنعه من المشاركة إلى جانب السوريين فوصلت بالفعل تعزيزات عسكرية عراقية إلى سوريا، كما اتهم العراق سوريا بقطع مياه نهر الفرات عنه، هذا التوتر بالعلاقات دعى بدمشق لمطالبة العراق بضعف المبالغ التي كانت تتقاضاها لقاء استخدام العراق لخط الأنابيب النفطية المارة بسوريا (والذي أدى في نهاية المطاف إلى لجوء العراق إلى تصدير نفطه عبر الموانئ التركية) وبعد تسلم صدام حسين زمام الأمور رسمياً في العراق عام 1979 واندلاع الحرب مع إيران في السنة التي تلتها اختارت سوريا الوقوف إلى جانب طهران في الحرب (هذا القرار يعد أجرأ ملامح سياسة حافظ الأسد الخارجية) مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام 1982 وقد بلغ التوتر في العلاقات أشده على أثر اتهام سوريا للعراق بمساعدة الإخوان المسلمين السوريين عسكرياً وماليا في صراعهم ضد حكومة دمشق، وهو الصراع الذي بلغ أشده عندما هاجم الجيش السوري مدينة حماه عام 1982وتتالت الاتهامات بين البلدين بتشجيع الأعمال الإرهابية الموجهة ضد الطرف الآخر، واستمرت العلاقات بين البلدين على هذا الحال، وزادت حدة التوتر بعد أن قررت الحكومة السورية المشاركة في القوات الدولية التي أخرجت القوات العراقية من الكويت عام 1991.

## غزو الكويت وما بعده

لكن العلاقات أخذت بالتحسن تدريجياً مع العقوبات التي فرضت على العراق، وكأن ما أفسدته السياسة يصلحه الاقتصاد وحصل تقارب بين النظامين الحاكمين في بغداد ودمشق وقد ظهرت نتائج التقارب عام 1997 حيث تمت إعادة فتح مركز "التنف" الحدودي لرجال الأعمال من البلدين وتوقيع أول الاتفاقات التجارية بين دمشق و بغداد. وقد تطورت العلاقات وفق التسلسل الزمني التالي، بالتزامن مع تغير السياسة الاقتصادية في سوريا مطلع التسعينات والفوائد التراكمية التي كان يحققها الاقتصاد في البلدين:

- عام 1997 وفي الأول من شهر آب: الأمم المتحدة تسمح للعراق باستيراد بضائع عبر الحدود مع سورية، - 1 تشرين الثاني: سورية تشارك للمرة الأولى في معرض بغداد الدولي للمرة الأولى منذ 17 عاما، - 21 نوفمبر: زيارة نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز لدمشق للمرة الأولى منذ عشرين عاما.

- عام 1998 وفي 14 نيسان: بطريرك السريان الأرثوذكس "أغناطيوس زكا عيواص" يزور العراق للمرة الأولى منذ 16 عاما، 20 آب: تم توقيع مشروع اتفاق لإعادة تأهيل أنبوب النفط العراقي السوري المتوقف منذ 16 عاما. وفي 13 أيلول: إعادة افتتاح المركز التجاري السوري في بغداد بعد إقفال استمر 18 عاما.

- عام 2000 وفي 22 شباط: وزير الري العراقي محمود دياب الأحمد يطالب باتفاق ثلاثي تركي - سوري - عراقي لوضع تقاسم عادل للثروات المائية المشتركة بين الدول الثلاث، وفي الأول من تموز: الرئيس السوري "بشار الأسد" يلتقي في دمشق وزير الخارجية العراقي "محمد سعيد الصحاف" ويبحث معه في القضايا العربية والعلاقات الثنائية. في الخامس من آب: تشكيل لجنة مشتركة للتعاون الاقتصادي للمرة الأولى منذ قطع العلاقات وإعادة افتتاح خط السكة الحديد بين الموصل وحلب المقفل منذ 1981.

- عام 2001 وفي 31 من شهر كانون الثاني: اتفاق على إنشاء منطقة للتبادل الحر بين البلدين. وفي 19 أيار: سورية تفتح مكتبا لمصالحها في بغداد بعد سنة من افتتاح ممثلية عراقية على المستوى نفسه في دمشق. وتم السماح بتنقل الأفراد بين العراق وسورية للمرة الأولى منذ عشرين عاما. وفي 11 من شهر آب قام رئيس الوزراء السوري" مصطفى ميرو" بأول زيارة لبغداد على هذا المستوى منذ أكثر من عشرين عاما.

- عام 2002: تم عقد مؤتمر عربي في دمشق لدعم العراق في وجه التهديدات الأميركية، بحضور طارق عزيز ونحو 800 شخصية كما استقبل الرئيس الأسد في دمشق الزعيم الكردي العراقي مسعود برزاني لبحث موضوع الحفاظ على وحدة العراق.

- عام 2003 وبعد سقوط صدام حسين، دعت دمشق المجتمع الدولي إلى إفساح المجال أمام الشعب العراقي لاختيار قادته بحرية، وطالبت بإنهاء الاحتلال. كما أعلن وزير الخارجية السوري استعداد بلاده للتعاون مع اول حكومة عراقية تشكل في مرحلة ما بعد صدام. وخلال عامي 2004 و2005 تفجرت الأوضاع الأمنية في العراق واستقبلت دمشق أعداداً هائلة من اللاجئين العراقيين انعكس توافدهم سلباً على الواقع المعاشي في سوريا، كما تصاعدت اتهامات الحكومتين العراقية والأمريكية للنظام السوري بدعم الجماعات الإرهابية المتدفقة نحو العراق، أو غض البصر عنها بالحد الأدنى. وفي عام 2006 أعلن وزير الخارجية السوري وليد المعلم يعلن ان دمشق جاهزة لبدء حوار مع الولايات المتحدة حول استقرار العراق. وفي 17 من الشهر نفسه دعت لندن سوريا وإيران إلى المساهمة في مساعي التوصل إلى السلام في الشرق الأوسط. وفي العام نفسه أعلن البلدان إعادة العلاقات الدبلوماسية بمناسبة زيارة وليد المعلم إلى بغداد.

ولم تشهد الأعوام اللاحقة أي جديد على صعيد العلاقات بين البلدين فالعراق غارقٌ في مشاكله ولم تفلح النخب السياسية العراقية، في إنقاذ العراق من جحيم الفساد والاقتتال والنهب المنظم للثروات، فحازوا بحق لقب أسوء مدافعين عن أنزه قضية، ومع اندلاع الثورة السورية عام 2011بدا الموقف العراقي مثيراً للدهشة، فعلى الصعيد الاجتماعي انقسم العراقيون بين داعم للثورة ومعاد لها بدافع طائفي بحت، متجاهلين أن أول مطالب الثورة السورية كان الدولة المدنية ومتجاهلين يقينية مفادها أن الواقع الطائفي في سوريا محصنٌ على نحو فريد عالمياً، وقد بدا موقفهم انعكاساً واضحاً لحالة التشرذم الطائفي التي وصل إليها المجتمع العراقي، أما الحكومة العراقية فلم يكن موقفها بأحسن حالاً فمع يقيننا بأن السياسة لعبة مصالح، كان الأمل معقوداً ومن الطرفين في سوريا معارضين وموالين بأن يكون الموقف العراقي أكثر وضوحاً بدافع مما تقدم عن علاقة عضوية بين البلدين منذ فجر التاريخ، فلم تستطع الحكومة العراقية مناصرة النظام بالمطلق خوفاً من إجماع دولي معارض له، وخوفاً على علاقاتها الغربية والخليجية، ولكي لا تجد نفسها أمام نظام معادٍ لها صراحة في حال سقط النظام في سوريا، ولم تستطع نصرة الثورة السورية بالمطلق خوفاً من حليف النظام القابع شرق البلاد والممسك بزمام الوضع العراقي، وخوفاً من تلويح النظام بورقة الاقتصاد واللاجئين، فضلاً عن شبكة المصالح التي تربط الفاسدين في النظامين. لذا آثر النظام العراقي الترقب بانتظار ترجيح كفة احد الطرفين.

ليس لأحدٍ التنبؤ بمصير الأحداث في سوريا، لكن بقاء الأمور على حالها منافٍ لحركة التاريخ، فلا أحد يملك الادعاء بمعرفة مصير الثورة، لكن الجميع مدركون بأن سوريا هي الباقية والأسماء والأنظمة زائلة بحكم التاريخ وبحكم قوانين الطبيعة، وكذا الحال بالنسبة للعراق، إن أي قارئ لتاريخ البشرية عليه أن يدرك انعكاس الجغرافيا على التاريخ وعلى طبائع الشعوب، وعليه أن يدرك أيضاً بأن ما طبع العلاقات السورية العراقية منذ استقلال البلدين من توتر وتنافر مخالفٌ لحقائق التاريخ والطبيعة، فموضوع إنشاء دولة واحدة قوامها العراق وسوريا أمرٌ لا يحتاج إيضاحاتٍ خاصة، لكن ما يتطلب الإيضاح هو: لِمَ لَمْ تظهر هذه الدولة قط إلى حيز الوجود، ولست هنا من دعاة القومية العربية التي أثبتت التجربة أن ما تحمله هذه القومية من مقومات لم يحصن تجربة الوحدة السورية المصرية من الفشل، بل استشهد هنا بتجربة الأوروبيين وقدرتهم على كسر الجدران الحديدية نحو الانسجام والتوحد. إن الربيع العربي يجب أن يستمر ربيعاً وحدوياً قد نختلف على صيغته، لكننا جميعاً متفقون على حاجتنا له لتتبوأ هذه الشعوب مكانها تحت الشمس.

# سوريا.. الهوية والمصير

# هل تشكّل سوريا وطناً واحداً؟

■ خالد كنفاني

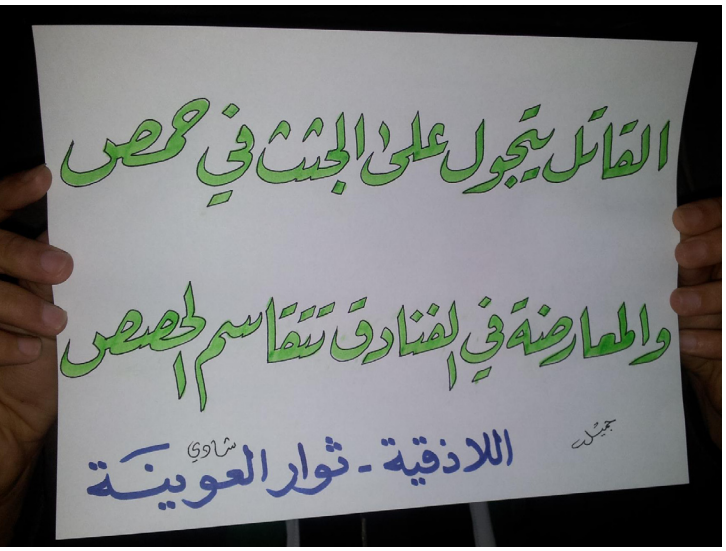


لعله سؤال مفاجئ في مقدمة مقال يتحدث عن الثورة، ولكنه يأتي في سلسلة الأسئلة الطويلة والمغيّبة لعقود طويلة داخل مجتمع وبلد لم يعرف أو يمارس السياسة سوى في المقاهي وعلى أبواب المحال التجارية ومن خلال النكات السياسية التي كانت تنتشر بالهمس.

ولا أذيع سراً إذا قلت أن ما أثار هذا السؤال هو انسحاب اثنتي عشرة حركة معارضة كردية من مؤتمر كان هدفه توحيد المعارضة، مثلما غابت عنه جهات معارضة أخرى بعضها يمثل التركمان وبعضها يساري وقومي (هيئة التنسيق نموذجاً) ناهيك عن كل معارضي الداخل سواء منهم من كان معارضة مستترة أو معلنة ولكنها متهمة بالانضواء تحت راية النظام (مثل الحركة التي يقودها قدري جميل وغيرها).

وحتى لا يغيب التاريخ وتغيب السياسة خلف الحماسة الثورية الجارفة التي تعصف بسوريا في مختلف مناطقها، فإن من الواجب التعمق بدراسة مكونات هذا البلد الذي يشكل بالفعل لوحة فسيفسائية بألوان وتقاطيع متراكبة مع بعضها بشكل لا يخلو أحياناً من طرافة مثلما لا يخلو كثيراً من كبت أو قبول على مضض.

تتنوع المكونات الثقافية والعرقية والقومية والدينية والطائفية في سوريا بشكل كبير جداً، ويعلم كل باحثي العلوم الجيوسياسية والأنثروبولوجية في سوريا (على قلتهم) أن هذه الأطياف تتوزع وفق ترتيب معين موروث على الأغلب من ظروف تاريخية معينة فرضت هذا التوزع أو من قرارات سياسية فرضت هذا الوجود أو ذاك في مناطق ومدن معينة.

قد نتوقف هنا قليلاً لنتحدث عن العراق، ذلك البلد الذي عشنا معه مراحل سقوط نظامه وعواقب سقوط ذلك النظام. ولن نهتم كثيراً بكل الآراء التي تزعم أن الحالة العراقية مختلفة عن الحالة السورية، فكل من يدعو اليوم إلى التدخل العسكري المباشر في سوريا فهو يرسم مصيراً مشابهاً جداً للحالة العراقية، مع فارق أكبر هو أن التنوع السوري يفوق نظيره العراقي بكثير. إن ما حصل (ولا يزال يحصل) من تهجير للعرب والمسيحيين من إقليم كردستان العراق بعد أن قام النظام السابق بفرض وجود هؤلاء ضمن الإقليم وذلك بدعوى إحلال التوازن الديمغرافي في المنطقة، وهي مسألة ظهر فيما بعد أن فرضها وعلى مدى سنوات طويلة لم يغيّر شيئاً في نفسية الناس من الداخل وكذلك لم يؤدي بالفعل إلى التوازن المزعوم.

ليس الهدف من هذا الكلام هو الدخول في متاهات التشكيك في نوايا البعض من مكونات الشعب السوري، ولكن ما ذكر ينطبق في كثير من ظروفه وملابساته على ما حدث ويحدث في عدد من مناطق سوريا. ولعل ما جرى ويجري في حمص هو مثال هام جداً. وبقطع النظر عن إقرارنا التام بمسؤولية النظام التاريخية والأخلاقية عن كل ما حدث في تلك المدينة العظيمة، فإن الكلام عن الواقع يجب أن لا يكون حالماً ورومانسياً. كانت بعض المنشورات والرسائل والإشارات على المنازل ولو من قلة معينة كافية لإثارة مزيج من الرعب والحقد والخوف والانكفاء من حضن المدينة إلى حصن الطائفة أو الدين أو القبيلة.

لا يمكن بكل حال أيضاً فهم مسألة رفع الأعلام الكردية في مظاهرة مناوئة للنظام السوري، وإذا كان الهدف هو الاعتراف بالقومية الكردية كطرف مميّز وفاعل في الوطن فلن يكون لرفع علم الإقليم نفسه الذي يرفعه إقليم كردستان العراق أية رسالة سوى الكلام عن إقليم منفصل جديد لأننا نخشى أن نرى بعد قليل أعلاماً من مدن معينة أو طوائف معينة، وفي هذا من المخاوف الشيء الكثير. ولن نذهب بعيداً لنذكر بما حصل في مصر بسبب مباراة كرة قدم دفعت بعض "المتحمسين" إلى رفع علم لمدينة بور سعيد المصرية والمطالبة باستقلالها عن مصر، وهو أمر لم يحدث في تاريخ مصر القديم والحديث.

إن غياب الشفافية وتحريم النقاش الوطني الصريح والتكتم على مسألة التنوع دفعت حتى الكثيرين من المثقفين إلى إهمال المسألة الاجتماعية في سوريا، وهكذا بدأنا نسمع أحياناً الكثير من الآراء والتحليلات عن الواقع السوري وهي أبعد ما تكون عن الواقع فعلاً، وهو ما دفع كاتب هذه السطور إلى وصف الحالة بأنها تشبه الكلام عن شعب في المريخ. إذ أنه لا يعقل بعد كل الكبت والظلم الذي عاشته سوريا والأمة العربية بشكل عام لمئات من السنين أن نرى فجأة شعباً متحضراً متفهماً متقبلاً للآخر ومتسامحاً ومتعايشاً بشكل طوباوي لا يضاهيه في ذلك سوى شعب لوكسمبورغ!

إن من أسوء المظاهر التي قد تضر بهذه الثورة هو عدم فهم مكوناتها وأبعادها الاجتماعية والثقافية والفكرية وهي المكونات الأهم وهي ما سيبني السياسة والاقتصاد في المستقبل، ولهذا يجب أن لا نرى حرجاً في الكلام الصريح والشفاف عن مسائل الهوية والانتماء وهي ذاتها المسائل التي ناقشها كتاب النهضة العربية في مطلع القرن العشرين أمثال فرح أنطون ومحمد عبده ومصطفى كامل وميشيل عفلق وغيرهم، ولكن مما يؤسف له أن هذه النقاشات تم بترها وكذلك تشويهها وتحويلها عن سياقها في وقت لاحق.

إن المتتبع لأحداث الثورة السورية منذ بداياتها البسيطة وصولاً لليوم وكذلك المتمعن في الرايات والشعارات التي يرفعها المتظاهرون يقرأ الكثير من الدلالات التي لا ينبغي إهمالها أو التغاضي عنها. لقد حذرنا سابقاً من استخدام الشعارات الدينية بشكل مباشر وخاصة فيما يتعلق ببدايات الجيش الحر الذي كانت كتائبه ولا تزال تتسمى بأسماء ذات مدلول ديني واضح ومباشر، كما أن البيان الأخير الصادر عن الجيش الحر والذي ابتدأ بآيات قرآنية تحض على قتال "الكفار" حمل من الدلالات التي لا تطمئن جمهوراً كبيراً من المواطنين السوريين ويثير تساؤلاً مشروعاً عن وحدة مكونات هذا الشعب. كما أن عين المراقب لا تغيب أبداً عن التجييش الإعلامي الهائل المكرس للثورة السورية في الإعلام الخليجي وكذلك في منابر المساجد وخاصة في السعودية التي بات خطباؤها ومشايخها يدعون إلى "الجهاد في سوريا" علناً بما يذكرنا بما فعله هؤلاء أنفسهم في الثمانينيات للحض على الجهاد في أفغانستان بينما كانت فلسطين أقرب مسافة من ذلك بكثير. ولن نتبنى أبداً روايات النظام وأبواقه الإعلامية التي تتكلم بلهجة تحريضية أيضاً ولكن إضفاء الطابع الديني على الثورة السورية لن يخدم سوى مشاريع إقليمية خارجية حتى تتحول سوريا إلى ساحة صراع لقوى خارجية مثلما استخدم لبنان في السابق لغرض مشابه. لا نريد إخفاء تحفظنا هنا كذلك على رفع أعلام دول أخرى في المظاهرات مهما كانت مواقفنا مع أو ضد تلك الدول، ففي هذا من الإضرار بالمستقبل الوطني السوري (كإحراق أعلام روسيا والصين وإيران) أو على العكس تحمل ولاءات ملتبسة (كرفع أعلام تركيا وقطر) لا يجب على من يطالب بدولة قوية مستقلة القرار والسيادة أن يتبناها.

مهما يكن ما يقال عن "بيان العهد الوطني" الذي أصدره من تبقى في الاجتماع الأخير في اسطنبول، ورغم كل البطولات التي نسبها الكثيرون من المعارضين لأنفسهم في "التوفيق" بين الأطياف، فإن ذلك البيان لم يزد على ألبوم القصائد والبلاغات الإنشائية التي صدرت سابقاً سوى المزيد من الصفحات، وهو ما دفع أحد المعلقين السياسيين إلى القول أن ذلك البيان لم يختلف عن الدستور السوري الجديد والذي أصدره النظام السوري منذ أسابيع سوى في أشياء بسيطة، وهو ما يدل على قصور سياسي وقصر نظر وانعدام في الأفق الوطني، ومن غير المقبول أن يتم رفض الدستور الجديد ممن حتى لم يقرؤوه ومن ثم إصدار ما يشابهه إلى حد التطابق من جهة أخرى. إن ما يتم تداوله خلف الكواليس اليوم هو أن النظام أعطى للأكراد العام الماضي ما لم تستطع المعارضة حتى اليوم إقراره وفي هذا الأمر مأساة وكارثة ستجر على الثورة أسوء العواقب إذا لم يتدارك "حكماء" المعارضة الموقف وينقذوا ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان.

قلنا في مقال سابق أن الطائفية والتنوع العرقي والقومي في سوريا قد يكون إما عامل قوة أو عامل ضعف، وحيث أنه لم يتصدى لهذه المسألة من يفهم التاريخ والجغرافيا السورية بحقيقتها وأبعادها الكاملة فإن هذا التنوع سيكون قنبلة موقوتة يخشى من انفجارها ووصول شظاياها إلى أعمق أغوار الجسد السوري الباحث عن هويته منذ قرون، فالسوري في حيرة من أمره دائماً: فهو تارة دمشقي أو حمصي (المدينة) وتارة مسلم أو مسيحي (الدين) وتارة سني أو شيعي أو علوي أو غيره (الطائفة) وتارة عربي أو كردي أو شركسي أو سرياني أو تركماني (القومية) وتارة العشيرة وتارة القرية وتارة الريف وتارة المدينة وتارة الحارة وغيرها وغيرها وغيرها كثير جداً وهو أمر يعرفه ويعيشه كل السوريين ولم يعد من داع لإخفائه أو التغاضي عنه وخاصة مع الخلافات الأخيرة في المعارضة على تركة نظام لم يمت بعد.

آخر الكلام: (هذه المرة مقتبس من إحدى المظاهرات وهي موجهة إلى المعارضة في الخارج)

"المعركة الحقيقية في الخنادق لا في الفنادق"

# الحكم بالتذكر..
# من أصول المحنة السورية

■ ياسين الحاج صالح

في 1985، وبمناسبة «تجديد البيعة» الثالثة له، لم يلق حافظ الأسد خطاباً يقول فيه إن سورية مرت قبل سنوات قليلة بأزمة وطنية قاسية، وقتل سوريون سوريين، وإن الدولة اضطرت للتعامل بصرامة مع هذا الظرف الأليم، ومن المحتمل أن تجاوزات قد حصلت أثناء ذلك، لكننا عاقدون العزم على طي هذه الصفحة وتجاوزها، وأنه بعد تفكير ومداولات في الأمر قررنا الإفراج عمن كنا اضطررنا لاعتقالهم، باستثناء من يثبت القضاء أنهم مسؤولون عن قتل مواطنين آخرين، وسننظر في أية تجاوزات على الممتلكات والأرواح حصلت أثناء الأزمة، ونعالجها بروح من الإنصاف والأخوة الوطنية، ونؤمّن جميع من غادروا البلد على حياتهم وكرامتهم إن عادوا، وسنعمل على إصلاح مؤسساتنا السياسية باتجاه يوفر تمثيلاً أوسع للسوريين.

في ربيع 1985، كانت انقضت ثلاث سنوات على مذبحة حماة التي راح ضحيتها عشرات ألوف السوريين، وكانت انقضت نحو 6 سنوات على مذبحة مدرسة المدفعية التي سقط فيها عشرات (ربما 80) من طلاب الضباط العلويين على يد عنصر من «الطليعة المقاتلة» للإخوان المسلمين، وأقل من خمس سنوات على مذبحة تدمر التي وقع ضحيتها بين 500 و1000 من المعتقلين الإسلاميين، وسنوات على اعتقال يساريين ونقابيين، وسوريين متنوعين. وكانت مضت أيضاً أقل من ثلاث سنوات على الاحتلال الإسرائيلي لبيروت، وخروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان، ولم يكن هناك خطر داخلي أو خارجي على النظام حينها.

لكن حافظ الأسد لم يلق الخطاب. لو فعل لكان حقق نصراً كبيراً في صراع سياسي وعسكري استطاع فيه إلحاق الهزيمة بكل من عارضوا نظامه في الداخل. هزيمة الخصوم بوسائل عسكرية أو أمنية ليست بحد ذاتها نصراً، النصر سياسي، وحافظ الأسد لم ينتصر لأنه لم يعرف كيف يعيد بالسياسة اكتساب ما كان اكتسبه بالعنف، وقد كان عنفاً منفلتاً ومتجاوزاً لكل حد وطني وإنساني. كان من شأن إعادة الاكتساب السياسية تلك أن تعود على نظامه بقدر من الشرعية، وعلى شخصه بتقدير أكبر، وعلى المجتمع الذي يحكمه بدرجة من التعافي.

بدلاً من ذلك صعّد النظام من عبادة الرئيس، وانتقل من نشر صوره في الفضاء العام إلى احتلال هذا الفضاء بالتماثيل، ودشن التصويت للرئيس الذي ينافس نفسه بالدم، وبرقيات الولاء بالدم أيضاً، وإجبار تلامذة المدارس وجنود الجيش على الهتاف له ثلاثاً كل صباح. هذا بينما كان في السجون عشرات الألوف، وبينما كانت سورية تعرف العصر الذهبي للمخبرين والوشاة وأسافل الناس، وطبعاً أجهزة الأمن المرعبة. ومضى بالتعامل الانتقامي الحقود مع عموم السوريين.

والخطاب الذي لم يلقه حافظ عام 1985، لم يلقه في أي وقت لاحق. بقيت القوة، لا السياسة ولا الحق، هي الحكم بينه وبين محكوميه.

هناك شيء صغير في الرجل الذي كسب معركة مسلحة، لكنه لم يعرف كيف ينتصر. كان ينقصه الشيء الذي كان من شأنه أن يحول نجاحة العسكري والأمني على خصوم أضعف منه بلا جدال إلى نصر سياسي عام: قدر من النبل وقدر أقل من روح الانتقام، وشخصية رجل الدولة، وشيء من بعد النظر التاريخي. شيء من روح الحرية أيضاً.

خاض الصراع بروح الحرب المطلقة التي تؤول إلى إبادة الخصوم، وليس إلى تسوية سياسية معهم من موقع متفوق. وعمل جدياً على إبادة كل خصومه، إن لم يكن مادياً، فسياسياً، بمن فيهم من انحصرت مخاصمتهم لنظامه بالسياسة والكلام. أراد كل شيء له ولأسرته ونظامه، فأبقى كل شيء منازعاً فيه.

الجراح الغائرة في الجسد السوري بقيت دون علاج. والبلد لم يحقق تقدماً على أي صعيد خلال 30 عاماً من تلك المحنة، لا على المستوى العسكري في مواجهة العدو الرسمي، ولا على مستوى الاقتصاد والتطور التكنولوجي، ولا على مستوى التفاهم الوطني والمعنويات العامة، ولا على مستوى التعليم والثقافة، ولا على مستوى كفاءة الإدارة. فقط استقرار أمني، أشبه باستقرار القبور، بعبارة صادق جلال العظم، أتاح للطاغية الحقود توريث الحكم لابنه.

بعد موت حافظ وقع على ضحاياه السابقين أن يحملوا دعوة المصالحة الوطنية أيام «ربيع دمشق». صيغت الدعوة في مبادرة سياسية وفي مقالات ومحاضرات، ولكن ووجهت بالمراوغة والاعتقال، فصح القول في الحكم الأسدي إنه يرضى القتيل وليس يرضى القاتل!

وبعد 11 عاماً على موت حافظ الأسد سُمع في ساحات المدن السورية هتاف يحمل أصداء السنين، ويعلن أن السوريين لم ينسوا شيئاً: يلعن روحك يا حافظ! كان ابن حافظ الأسد، بشار، يواجه المحكومين بنهج أبيه نفسه، نهج الإبادة المادية والسياسة: لا تنازلات من أي نوع للمحكومين الثائرين، لا وقف للعنف الإرهابي ضد السكان المدنيين، لا تفاوض مع أي معارض. على الطريقة الإسرائيلية، يعتبر النظام أي اعتراض عليه خطراً وجودياً، فيواجهه بعنف ساحق، وبروح متعصبة حقود سبق أن خبرناها أيام الأب أيضاً.

فإذا كان تاريخ سورية طوال الحقبة الأسدية حتى يومنا يبدو دورياً، نعود فيه اليوم إلى العام 1980 وما بعده، فبالضبط لأنه «حكم طبيعي»، ينضبط بمنطق الملك والعصبية والشوكة، ويقاوم بكل عنف ما من شأنه أن يكسر الدورة، الحرية والسياسة والاعتراف بالمحكومين. الحكم الطبيعي يحكم بالتذكر لا بالتطور، ولذلك يكرر تاريخه.

لذلك أيضاً فإن عهد الابن الذي «تذكر» كيف يجيد قتل محكوميه وتعذيبهم، سيتذكر أيضاً ألا يبادر في أي يوم إلى مصالحة السوريين الذين يعاملون كأعداء، إذا ما تمكن من سحق كفاحهم الشجاع. هذا نظام للعبودية السياسية، لا يُصلح ولا ينصلح. وهو صريح في إعلان برنامجه السياسي الذي لم يحد عنه لحظة واحدة: الأسد أو لا أحد! أو بوضوح أكبر: الأسد أو نحرق البلد! غير أن هذا تخيير بين شكلين من خراب البلد: حرب باردة تبقي السوريين بلا حرية ولا كرامة ولا تقدم عام على أي مستوى، أو حرب ساخنة، تقتلهم بالألوف وعشرات الألوف وتدمر شروط حياتهم المادية والسياسية والمعنوية. لا يفرض النظام على السوريين شكلاً واحداً للخراب الوطني، يوفر لهم حرية الاختيار بين شكلين.

الحياة اللندنية 25 / 3 / 2012

# ضحايا حمص وحماة

# هل يعيد التاريخ نفسه في سوريا؟

■ كيرستين هلبيرغ

بعد مرور ثلاثين عاماً على المذبحة التي وقعت في مدينة حماة السورية والتي راح ضحيتها أكثر من عشرين ألف قتيل، تشهد سوريا حالياً مذابح جديدة بحق شعبها. وإذا كانت وحشية النظام السوري هي ذاتها لم تتغير عبر السنين، فإن الانتفاضة اليوم تختلف عن انتفاضة الأمس، مثلما ترى الصحافية والمحللة السياسية الألمانية كيرستين هلبيرغ.

الجمعة، الثالث من شباط (فبراير) 2012. قرب الظهيرة يخرج الآلاف للتظاهر في حمص ضد نظام الأسد. يهتف المتظاهرون: "عذراً حماة، سامحينا"، مذكرين بالمذبحة التي وقع قبل ثلاثين عاماً في حماة، دون أن يتوقعوا أنهم سيكونون هم ضحية مذبحة جديدة تقع بعد ساعات.

في مساء الثالث من شباط (فبراير) بدأ الجيش السوري هجومه على حمص، وراح يقصف الأحياء السكنية في المدينة. أكثر من 300 شخص لقوا مصرعهم حتى الآن، في حين يعاني المئات من المصابين إصابات بالغة وآلام فظيعة دون أن يجدوا أدوية أو معدات طبية في العيادات الميدانيه، التي أقيمت على عجل. الصور التي التقطت في حمص تفوق حد البشاعة بحيث أن شاشات التلفزيونات في الغرب لا تستطيع عرضها.

اغتيالات واعتقالات بالجملة وتعذيب: وفق تقديرات الأمم المتحدة لقي نحو 7500 شخص على الأقل مصرعهم منذ اندلاع الانتفاضة ضد نظام الأسد، من بينهم مئات الأطفال. على شبكة الإنترنت يشاهد أناس أفلام الفيديو، التي تصور الأطفال القتلى وأشلاء الجثث. بوجه متحجر الملامح يجلس السوري البالغ من العمر خمسة وأربعين عاماً أمام الكمبيوتر في إحدى المدن الألمانية الصغيرة. تحيي الصور في ذكرياته ما حدث في حماة، مسقط رأسه، في شباط (فبراير) عام 1982. آنذاك اقتحمت قوات الأمن السورية المدينة وعاثت فيها فساداً لمدة ثلاثة أسابيع – وعندما خرجت من المدينة خلّفت وراءها عشرين ألف قتيل وفقاً للتقديرات الحذرة لمنظمات حقوق الإنسان. مذبحة حماة تعتبر من أبشع الجرائم التي شهدها الشرق الأوسط في القرن العشرين، وإن لم يتم حتى الآن الكشف عن كل أبعادها.

أنس ليس هو اسمه الحقيقي. لكنه يريد أن يظل مجهولاً حتى لا يمثل خطراً على عائلته. فما زال أبوه يعيش حتى اليوم في حماة، أخوه و بعض أقاربه يعيشون في ضواحي دمشق. أكثر من نصف حياته قضاها هذا المواطن السوري – وهو رجل رقيق البنية ذو نظارة معدنية تشي بثقافته - في ألمانيا حيث يعمل مديراً في قطاع صناعة السيارات. عندما يروي له أقاربه عبر برنامج "السكايب" عن دخول الدبابات والاعتقالات الجماعيه والقناصة والجثث الملقاة في الشوارع، يتذكر أنس على الفور ما حدث آنذاك. ما حدث في عام 1982 كان مذبحة كبيرة، أما ما يحدث اليوم في أماكن مختلفة فهو مذابح صغيرة، يقول أنس. ولكن،هناك فارق مهم، ألا وهو الظروف التي سبقت هذه المذبحة.

## صعود نجم العلويين

شبكة من الفساد والمحسوبية: حافظ الأسد وسط قيادات حزب البعث السوري. كانت سنوات السبعينات في سورياً فترة توترات اجتماعية. منذ أن تولى حزب البعث الاشتراكي السلطة في عام 1963 تضاءل نفوذ النخب المدينية، في حين بدأت الحكومة تدعم بشكل متعمد سكان الأرياف الفقراء. عندما قام حافظ الأسد، وزير الدفاع آنذاك، بانقلاب غير دموي في عام 1970 وتولى مقاليد الحكم، كانت هذه هي المرة الأولى التي يترأس فيها الدولة أحد أبناء الطبقة الأقليه المهمله، فالأسد ينتمي إلى الأقلية العلوية التي تعرضت عبر التاريخ إلى ظلم، مما دعاها لسلك الطريق الوحيد الذي كان يضمن له الصعود السياسي، أي الانخراط في الجيش.

استغل الأسد إيديولوجية حزب البعث – وهي عبارة عن خليط من الاشتراكية والقومية العربية – ليصنع من سوريا بلدا معتد بنفسه. غير أنه في حقيقة الأمر تخلى سريعاً عن مبادئ حزب البعث، وبفضل هذا نشأت عبر سنوات السبعينات شبكة من الفساد والمحسوبية، كوّن أعضاء الحكومة من خلالها ثروات فاحشة. أدى ذلك إلى تزايد السخط في البلاد، لا سيما بين الطبقات الاجتماعية الخاسرة، كما بدأت البورجوازية في المدن تفقد نفوذها السياسي، ووجد التجار العريقون أنفسهم في مواجهة الأثرياء الجدد، أما السلطات الدينية ففقدت مكانتها في خضم المناخ العلماني السائد.

هذا الإحباط شكّل التربة الخصبة للمعارضة الإسلامية. عبّر حزب الإخوان المسلمين عن السنة المحافظين ومنحهم صوتاً، فكسب الأتباع لا سيما في حلب وحماة. أما في دمشق فقد نجح الرئيس الأسد في تقليص نفوذ الإخوان المسلمين وذلك عبر إقامة علاقات اقتصادية وثيقة مع فئات اجتماعية سنية مهمة. هذه العلاقة الوثيقة التي ما زالت قائمة حتى اليوم – ولهذا فإن طبقة كبار التجار في العاصمة لم يديروا ظهورهم للنظام بشكل صريح خلال الأزمة الحالية.

عايش أنس صعود نجم الإخوان المسلمين في صباه. ولاحظ أيضاً كيف أفرزت التبعية الاقتصادية في حماة كراهية طائفية. "سكان المناطق الريفية المحيطة بحماة ينتمون إلى الطائفة العلوية، وهم كانوا من الذين يخدموا لدى سكان المدن السنة"، يقول أنس متذكراً، ثم يضيف أنهم لم يغفروا لهم ذلك حتى اليوم.

## الصراع مع الإخوان المسلمين

صدمة أصابت أمة بأكملها: كانت مدينة حماة الواقعة شمال غربي سوريا في شباط (فبراير) 1982 مسرحاً لمذبحة استمرت عدة أسابيع، وفي نهايتها كان الخراب والدمار منتشراً في القسم الأكبر من المدينة. عشرات الآلاف قتلوا أو تم اعتقالهم أو مازالوا مفقودين حتى اليوم. مع تولي الأسد مقاليد السلطة بدأ نجم العلويين في الصعود. عديدون منهم غادروا المناطق الجبلية الواقعة بالقرب من ساحل البحر الأبيض التي التجأوا إليها قبل قرون باحثين عن الحماية من الملاحقة، ونزلوا إلى المدن حيث وجدوا وظائف في الإدارات الحكومية وفي أجهزة المخابرات وفي الجيش. وحتى اليوم ما زال عدد العلويين في القوات المسلحة السورية أكبر بكثير من حجم طائفتهم قياساً إلى بقية سكان سوريا.

هيكل السلطة الجديدة جعل من الضحايا جناة. وبدت عقدة الشعور بالنقص لدى الأقلية والرغبة في الثأر والانتقام هي الدافع لدى العلويين العاملين في أجهزة المخابرات عندما كانوا يلقون القبض على الإسلاميين

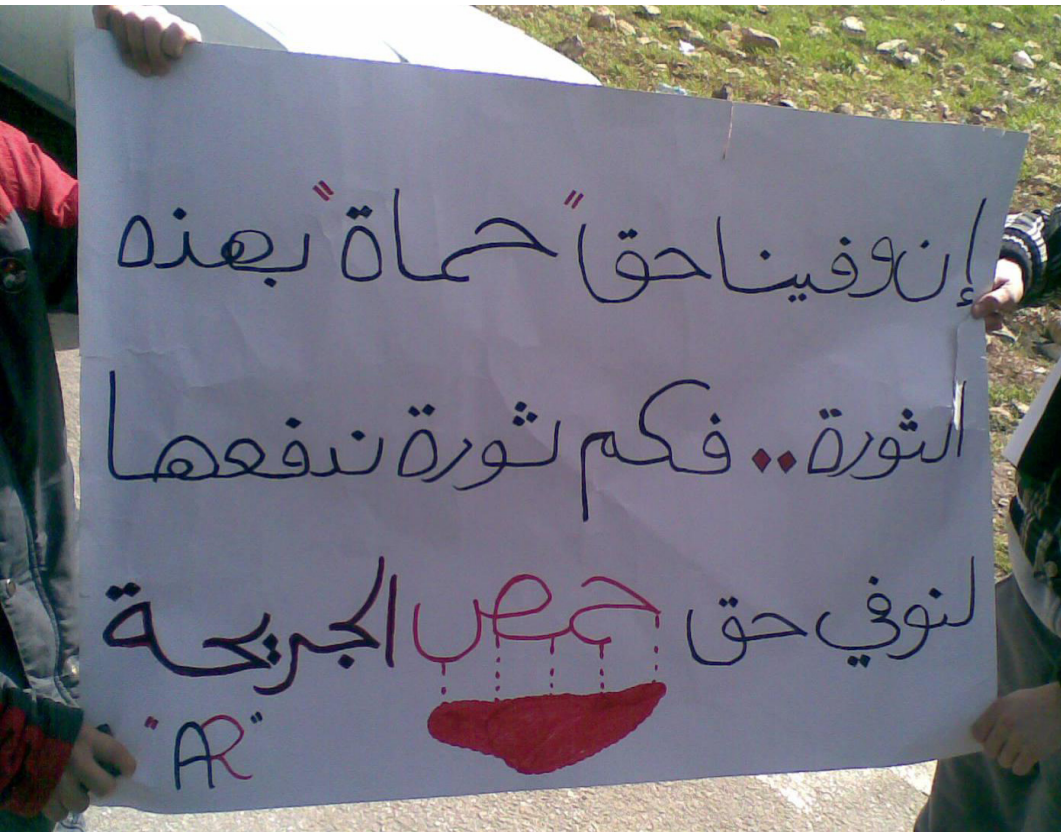

الذين كان معظمهم من المتعلمين تعليماً جيداً حسب رأي أنس، الذي يقول إن بدنه ما زال حتى اليوم يرتعش عندما يتذكر ظهر ابن عمه المشوه وأظافره المخلوعة بعد إلقاء القبض عليه في عام 1979. أكثر من ابن من أبناء أعمام أنس و أقربائه انضموا إلى "الطليعة المقاتلة" التابعة للإخوان المسلمين. عبر الاغتيالات لأعضاء مختارة من الحكومة والهجمات على مباني الدوله ومنشآت الجيش أعلن الإسلاميون المتطرفون تحديهم لنظام البعث العلماني.

بوحشية رد الرئيس حافظ الأسد على ذلك. فبعد محاولة اغتيال في حزيران (يونيو) 1980 نجا منها بإعجوبة أصدر الأسد قراراً بأن يعاقب بالإعدام كل من ينتمي إلى الإخوان المسلمين، وهذا ما كان بمثابة منح رخصة مفتوحة للقتل. هذه الرخصة التي ما زالت سارية الفعل حتى اليوم. عقب ذلك شهدت السجون مذابح راح ضحيتها مئات من المعتقلين من الإخوان المسلمين، وفي حلب وحماة تم جمع الرجال والأولاد فوق 14 عاماً بشكل عشوائي، وعقب ذلك تم إعدامهم رمياً بالرصاص.

كل هذه الأحداث كانت تمهيداً لحرب مفتوحة، بدأت بالفعل في ساعات الصباح الباكره من الثاني من شباط (فبراير) عام 1982 عندما دخلت فرقة من الجيش إلى مدينة حماة القديمة وهاجمت مخابئ الإخوان المسلمين. نجح مئات من المقاتلين في البداية في طرد الجنود عن مدينتهم، ثم اقتحموا المباني الحكومية وقتلوا القيادات الحزبية وأعلنوا تحرر حماة في ضحى الثاني من شباط (فبراير). كانت تلك صدمة للنظام في دمشق، وهكذا بدأ النظام يعد للمعركة الحاسمة ضد الإسلاميين. لم يكن الأسد يريد مجرد الانتصار عليهم، بل كان يريد سحقهم.

## كابوس حماة

ما عقب ذلك كان كابوساً استمر ثلاثة أسابيع. المنظمة السورية لحقوق الإنسان، وهي منظمة غير حكومية ممنوعة رسمياً، قامت بتوثيق أحداث مذبحة حماة بمساعدة شهود العيان من كل حي. التقرير المفزع يضم تفاصيل تفوق في وحشيتها قدرة الخيال البشري. عائلات بأكلمها تم اغتيالها في منازلها، في حين راحت فرق الإعدام تطلق الرصاص على الرجال على قارعة الطريق. النساء والأطفال الذين اختبئوا في المحلات أو في المساجد تم قتلهم، وتم تعذيب شيوخ المسلمين وسحق أحياء سكنية بأكلمها بالقنابل. تتطابق تقارير شهود العيان مع ما سمعه أنس من أقاربه. آنذاك، تمكن أنس في بداية المذبحة من الهرب من حماة، وكان بذلك الوحيد من رجال العائلة البالغين الذي استطاع مغادرة المدينة حياً.

بقي أبناء أعمام أنس الصغار وعماته وخالاته في المدينة ونجوا من المذبحة، غير أنهم ظلوا يعانون لفترة طويلة من الصدمة، يقول أنس، ثم يضيف: "إحدى بنات عمي اختبأت مع أمها ونحو ستين شخصاً آخرين في قبو أحد البيوت". اقتحم الجنود القبو وأطلقوا الرصاص على الجميع وقتلوهم جميعاً ما عدا ابنة عمه وطفل الجارة الرضيع. " كان الجنود يطلقون النار مجدداً لدى أدنى حركة من أي شخص "، يقول أنس. "بعد ذلك قام الجنود بسرقة الساعات والمجوهرات ثم فروا."لقد نجت ابنة عمه من المذبحة فقط لأن أمها وقعت فوقها. في نهاية شباط (فبراير) 1982 كان الخراب والدمار منتشراً في القسم الأكبر من حماة، كما انمحت من الوجود المدينة التاريخية القديمة التي صنفتها اليونسكو في عداد التراث الإنساني الذي ينبغي الحفاظ عليه. تم تدمير المساجد والكنائس على نحو همجي ، ولقي نحو عشرين ألف شخص حتفه، في حين اعتُقل عشرات الآلاف أو اختفوا، وعديد منهم لم يعود قط.

## الصدمة التي أصابت أمة بأكملها

صدمة أصابت أمة بأكملها: كانت مدينة حماة الواقعة شمال غربي سوريا في شباط (فبراير) 1982 مسرحاً لمذبحة استمرت عدة أسابيع، وفي نهايتها كان الخراب والدمار منتشراً في القسم الأكبر من المدينة. عشرات الآلاف قتلوا أو تم اعتقالهم أو مازالوا مفقودين حتى اليوم. تحولت حماة إلى صدمة شعبية وإنسانيه (تراوما) أصابت أمة بأكملها، كما أمسى ذكرها من المحرمات. بسرعة فائقة تم إعادة إعمار المدينة وإزالة آثار المذبحة. وفوق الندبات الاجتماعية التي خلفتها ألقي ستار من الصمت. صمت جماعي. حتى اليوم ما زال النظام يُحمّل الإخوان المسلمين مسؤلية العنف، متخذاً من ذلك ذريعة لمحو حزبهم من الوجود محواً تاماً. فبات القتل هو مصير الأعضاء الناشطين، والاعتقال مصير الأتباع، أما من ينجو من الملاحقة فيهرب خارج البلاد. وهناك تتكون تيارات مختلفة متأثرة بالقيادات السياسية التي تعيش في المنافي. لم يكن الإخوان المسلمون كتلة متجانسة، لا آنذاك ولا اليوم. زعيم الجماعة محمد رياض الشقفة يعيش في تركيا حيث تتشكل منذ شهور جبهة المعارضة السورية في الخارج.

داخل المجلس الوطني السوري، وهو أهم تجمعات المعارضة خارج سوريا، يكوّن الإخوان المسلمين الكتلة الأكبر. والبعض يرى أن نفوذهم أصبح سائدا، وهو ما يدفع الأقليات السورية بصورة خاصة، أي المسيحيون والعلويون والدروز، إلى الشعور بالخوف من الأجندة الإسلامية للأغلبية السنية في حال تغيير النظام. ويحاول الشقفة، المرشد العام للإخوان المسلمين، أن يبدد تلك المخاوف، مردداً عبارات مثل: "لا يمكن فرض الشريعة الإسلامية على أحد"، أو أن الإخوان المسلمين هم الذين سيدافعون عن حقوق الأقليات.

يبقى أنس متشككاً عندما يسمع ذلك. فهو يفتقد لدى الإخوان المسلمين الصراحة النقدية ومراجعة ماضيهم في سوريا. الشقفة، زعيم الإخوان المسلمين الذي يعيش منذ السبعينات في الخارج، ينفي مسؤولية الإخوان المسلمين عن الإرهاب الذي مورس آنذاك ويدّعي أن خلايا مستقلة هي التي نفذت الضربات، وأن هذه الخلايا لا تنتمي رسمياً للإخوان المسلمين. بالنسبة لأنس فإن ذلك ليس إلا محاولة للتنصل من المسؤولية.

## الابن يسير على درب الأب

غير أن الأخوان المسلمين لديهم هموم أخرى الآن، لا سيما وأن البعض يحملهم أيضاً مسؤولية العنف في الأزمة الحالية. الرئيس بشار الأسد يستخدم بعد ثلاثين عاماً من مجزرة حماة نفس اللغة التي استخدمها والده محذراً من "الخطر الإسلامي"، مردداً أن جماعات إرهابية يحركهم الخارج يريدون تدمير سوريا. ولكن على عكس ما حدث آنذاك فإن ادعاءه اليوم تخالف الواقع تماماً.

مَن يتحدى نظام الأسد منذ نحو عام ليسوا إرهابيين مسلحين، بل هم متظاهرون مسالمون، يدعمهم في ذلك الجنود الذين انشقوا عن الجيش. وفي حين كانت أقلية سنية متطرفة آنذاك تريد إقامة دولة إسلامية فإن السوريين اليوم من كافة الطوائف والأديان والطبقات الاجتماعية يطالبون بالحرية والديمقراطية. باختصار: قبل ثلاثين عاماً كان حزب إسلامي يخوض صراعاً ضد نظام علماني، أما اليوم فإن طبقات الشعب العريضة تتحرر من الديكتاتورية. عبر الإنترنت تصل صور الاحتجاجات والجنازات والهجمات بالصواريخ إلى الرأي العام في وقت حدوثها تقريباً. وفي حين لم تصل إلى خارج سوريا سوى أخبار قليلة عن مذبحة حماة في عام 1982 فإن العالم اليوم اصبح شاهدٌ على العنف في سوريا.

بالرغم من ذلك يبدو المجتمع الدولي وكأنه يقف متفرجاً مكتوف اليدين: فقد أخفقت جامعة الدول العربية في سوريا، في حين يعطل حلفاء الأسد - روسيا والصين - صدور قرار بشأن سوريا في مجلس الأمن الدولي. ولهذا يبحث الأوروبيون والأمريكيون وشركاؤهم في منطقة الشرق الأوسط عن طرق أخرى خارج الأمم المتحدة لإيقاف سفك الدماء في سوريا – ولكن حتى الآن بدون جدوى. ما زال كافة الشركاء يستبعدون تدخلاً عسكرياً مباشراً، لكن الأصوات تتعالى من أجل تسليح معارضي الأسد.

كل البوادر في سوريا تشير إذن إلى العنف. وما زال السوريون يواجهون الموقف وحدهم. ولكن منذ الثاني والعشرين من تموز (يوليو) لم يعد أنس يشك في قدرة السوريين على إسقاط نظام الأسد بقوتهم الذاتية. فللمرة الثانية في تاريخها تنتفض مدينة حماة، مسقط رأس أنس – وهذه المرة عبر احتجاجات جماهيرية سلمية.

حتى اليوم لا يستطيع أنس أن يصدق عينيه. "كنت أعتقد أن الماضي جاثمٌ بكل ثقله على صدور الناس في حماة، ولذلك لن يخرج أحد للتظاهر"، يقول أنس. غير أن مئات الآلاف من المحتجين تجمعوا في يوم الثاني والعشرين من تموز (يوليو) 2011 في ساحة العاصي، و هتفوا هناك "سوريا بدها حرية". أنس يعتبر ما حدث أول انتصار صغير.

كيرستين هلبيرغ
ترجمة: صفية مسعود
مراجعة: هشام العدم
موقع قنطرة 2012

# أحكام الموطن في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

## الموطن العام أو الموطن الأصلي

الموطن قانوناً هو المكان الذي يعتد به فيما يتعلق بعلاقات الشخص القانونية، ويعتبر المقر الذي توجه غليه المخاطبات القضائية والقانونية وفي هذا المقر يتحدد مكان الوفاء والالتزام ويتحدد الاختصاص القضائي وغيره، ولقد عرف القانون المدني في المادة /24/ منه " الموطن هو المكان الذي يقيم فيه الشخص عادةً" وقد عرّفت محكمة النقض السورية الموطن أيضاً " هو المكان الذي يقيم فيه الشخص عادةً، وإن مجرد الوجود أو السكن في مكان ما لا يجعل منه موطناً ما لم تكن الإقامة فيه مستقرة "، وتبدو فائدة الموطن من الوجهة القانونية في نواح عدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نصت المادة الثالثة من أصول المحاكمات الجزائية على ان دعوى الحق العام تقام على المدعى عليه أمام المرجع القضائي المختص التابع له مكان وقوع الجريمة في موطن المدعى عليه أو مكان إلقاء القبض عليه، ولا مفاضلة بين المكانين إلا بالأسبقية في رفع الدعوى.

كما استقر الاجتهاد القضائي على أنه في حال تعدد المدعى عليهم في الخصومة وكان موطن كل منهم يقع في دائرة محكمة مستقلة، فللمدعي في هذه الحالة أن يرفع الدعوى أمام المحكمة التي يقع في دائرتها موطن أحدهم.

كما نصت المادة /81/ من قانون أصول المحاكمات المدنية " متى كانت المحاكم السورية مختصة وكان ليس للمدعى عليه الأجنبي محل إقامة في سوريا يكون الاختصاص لمحكمة موطن المدعي ".

## الموطن القانوني أو الإلزامي

فرض القانون المدني السوري على بعض الأشخاص في المجتمع موطناً قانونياً وقد حصره في ثلاث حالات: الموظفون العامون، الأشخاص الحائزون على كامل الأهلية الذين يشتغلون عند الغير ويقيمون معه، القاصرون والمحجور عليهم والمفقودون والغائبون ".

## الموطن التجاري أو موطن الأعمال

نصت الفقرة الأولى من المادة /43/ من القانون المدني على أنه " يعتبر المكان الذي يباشر فيه الشخص تجارة أو حرفة موطناً بالنسبة إلى إدارة الأعمال المتعلقة بهذه التجارة أو الحرفة " ومن ذلك أن التجار وأصحاب الحرف لهم بالإضافة إلى موطنهم العام موطن خاص مرتبط بأعمالهم ويجوز توجيه التبليغات والمخاطبات القانونية للموطن الخاص.

## الموطن المختار

هو الموطن الذي يختاره الشخص ليباشر فيه بعض الأعمال الخاصة وذلك عند تعاقده مع شخص آخر، أي أنه موطن خاص يتعلّق بعمل معين وهو بهذا الشأن يتشابه مع موطن الأعمال إلا أنه يختلف عنه في أن صاحبه غالباً هو الذي يقوم بتعيينه بإرادته ومشيئته. فالموطن المختار لا يتصل بمحل الإقامة بل بالنشاط القانوني الذي نشأ من أجله هذا الموطن الخاص، ومصدر الموطن المختار يكوم من خلال العقد أو النص القانوني أو التصرف القانوني بوجهٍ عام.

نصت المادة / 45/ من القانون المدني " الموطن المختار لتنفيذ عمل قانوني يكون هو الموطن بالنسبة إلى كل ما يتعلق بهذا العمل بما في ذلك إجراءات التنفيذ الجبري إلا إذا اشترط صراحة على قصر الموطن على أعمال دون أخرى ".

والأصل أن الموطن المختار يظل معتبراً في نظر القانون طيلة المدة اللازمة لتنفيذ العقد الذي يتعلق به باعتبار أنه جزء من العقد وفرع منه يظل منتجاً لمفاعيله مادام العقدُ قائماً ولم ينقض بعد، أما إذا استوفى العقد أغراضه وانقضى فلا يبقى للموطن المختار أي أثر وينقضي بانقضاء العقد، ويرجع الحكم إلى الموطن الأصلي المقرر في القانون. كما انه يمكن تبديل الموطن المختار بناءً على اتفاق المتعاقدين أنفسهم ما لم يكن اختياره قد تم أصلاً لمصلحة أحد المتعاقدين، هذا ولا يجوز إثبات الموطن المختار إلا بالكتابة بحسب المادة /45/ من القانون المدني السوري.

## موطن الشخصية الاعتبارية

الشخصية الاعتبارية تنشأ من تكتل جماعات من الناس حول هدف معين كالجمعيات والشركات أو عن تخصيص مجموعات من الأموال لغرض محدد كالمؤسسات مثلاً، هذا الشخص منحه القانون المدني وفقاً للمادة /55/ كافة الحقوق التي يتمتع بها الشخص الطبيعي إلا ما كان منها ملازماً لصفة الإنسان الطبيعية كما نصت نفس المادة على " يعتبر موطن الشخص الاعتباري المكان الذي يوجد فيه مركز إدارته والشركات التي يكون مركزها الرئيسي في الخارج ولها نشاط في سوريا، يعتبر مركز إدارتها بالنسبة للقانون الداخلي المكان الذي توجد فيه الإدارة المحلية ".

## الموطن في قانون الأحداث الجانحين

تنص المادة /36/ من قانون الأحداث الجانحين على ما يلي: " يعين الاختصاص المكاني لمحكمة الأحداث الجانحين وفقاً للترتيب التالي: محل وقوع الجرم، موطن الحدث أو موطن أبويه أو وليه، معهد الإصلاح أو مركز الملاحظة الذي وضع فيه الحدث ". كما نصت المادة / 43/ من القانون " للمحكمة المحال إليها الحدث أن تتخلى عن الدعوى إذا كانت مصلحة الحدث تقتضي ذلك وتحيله إلى المحكمة الواقع في منطقتها موطن الحدث أو وليه أو معهد الإصلاح أو مركز الملاحظة المنقول إليه الحدث على أن لا ينشأ عن هذا التخلي ما يعرقل سير المحاكمة ".

## الموطن الانتخابي

يمتاز الموطن الانتخابي بأهمية بالغة بالنسبة للشخص على صعيد ممارسته حقوقه الإدارية والسياسية وبخاصة ممارسته لحقه في الانتخاب والترشح، وللناخب أن يمارس حقه الانتخابي في الانتخابات العامة في أحد الأماكن التالية: 1ـ في محل قيده في السجل المدني. 2ـ في محل عمله إن كان من العاملين في الدولة وفي وجهات القطاعين العام والمشترك، وذلك بالاستناد إلى وثيقة من الجهة التي يعمل فيها، 3ـ في محل إقامته الفعلي. أما في انتخابات المجالس المحلية فعلى الناخبين التسجيل في الجداول التابعة لمناطقهم ولا يجوز التسجيل في أكثر من جدول انتخابي واحد.

تجدر الإشارة إلى أن قانون الأحوال المدنية قدم تعريفاً مخالفاً للقوانين الأخرى معتبراً الموطن هو المكان الذي فيه قيد النفوس ويكون خاصاً لممارسة الحقوق المدنية.

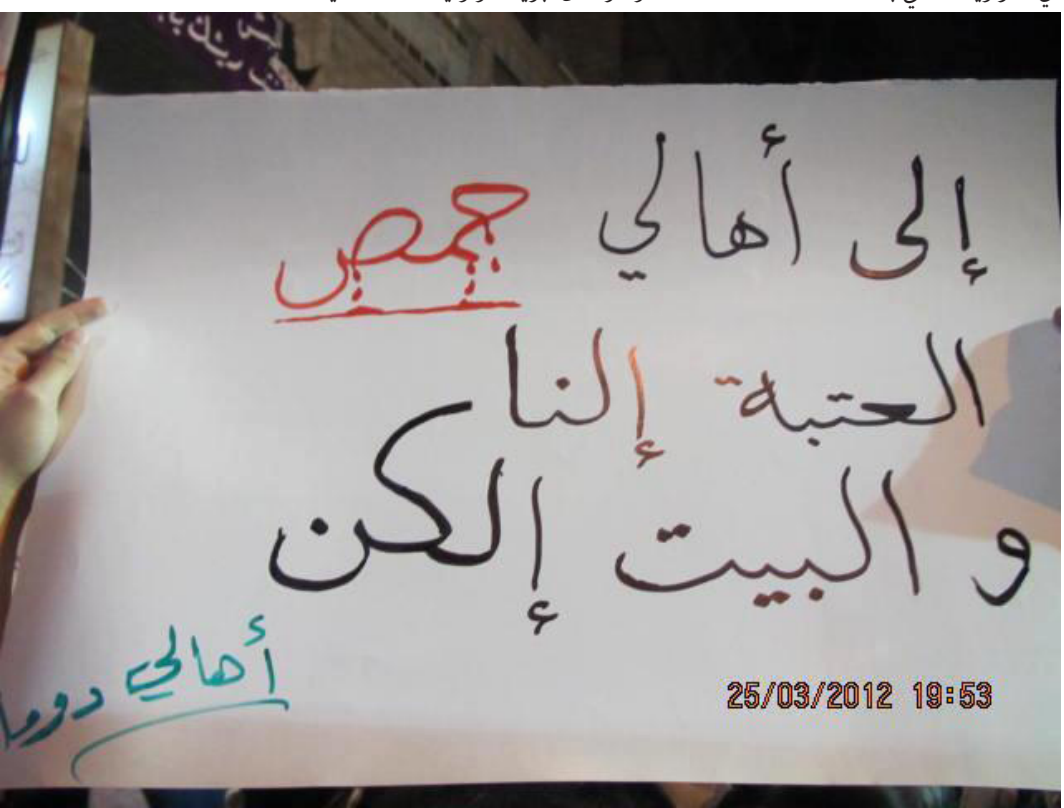

# سوريا ثورة لا تشبه إلا نفسها

■ آخين ولات

* * *

هذا الصباح لا يشبهنا. إنه الجلاء. وإنه القيامة...
سأقضي النهار كله في نفخ البالونات،
وما من شيءٍ قط يربط هذه الأغنية
بالزعتر البريّ الأخضر.
ثمة مأتمٌ وأهلي حزينون، بينما لا أستطيع
الكف عن التفكير بما قالته الذبابة،
وهي تدخل أذن الميت.

* * *

قال المتيّم أنه، سينظر إليها بعدستين
سوداوين، حتى لا يرى شعرها أحمراً،
ولا الأزقّة في حمص وحماه وقامشلو
ودير الزور.
فقط لو ألمس شعرك الأحمرَ، هذا
الصباح!!!
لأصبحت نبيّاً وأنا أشرب القهوة،
في شرفة عفرين.

* * *

السبعينيات السويديات يتحدّثن بمرح في
الساونا عن "شارلي ولولا" و"يوكو شوكو
موكو توتو"...
بينما أتخيّل دباباتٍ في الخارج تطوّق
الصالة والمسبح.
تحاصر المدينة وتقصف الغيوم؛ فأغرق
في عَرَقٍ مالح وحارق.
في الساونا كلّ شيءٍ حارٌ جداً؛ مثل دم
الأطفال المراق في بلادي.

* * *

لا أتقن الإنكليزية. يقول السويدي
الجالس خلفي تماماً، للكندي الزائر،
وهو يتحدث السويدية بطلاقة.
يتداعى حديثهما إليّ بينما أرتّب في
ذهني آخر قصيدةٍ أكتبها بالكردية.
أمي سويدية. يقول الكندي الزائر، بينما
يقطّع الدبلوماسي المحنّك إشارة المرور،
-
وهي ليست له.
هنا كان اللّه تفاحةً في يد الطاغية.
اشتهاها كل الأطفال المؤنفلون، قبل أن
يملأ التراب عيونهم.
هنا أكل الطاغية اللّه.

* * *

مثلي تماماً؛ ناقماً على القلب إذ يرقّ لمن
لا يستحق،
تفسح المكان للهواء.

* * *

سأقف هنا. قرب الرصاصة في الجانب
الأيسر؛ وأنت هناك،
نعم نعم فوق الركبة المحطّمة.
وأنت: ضع رجلك اليمنى فوق الرأس
المفتوح، ولتكن فوهة البارودة
في فوهة الجرح...
واحد اثنان ثلاثة: صورة تذكارية لثورةٍ
ما؛ سوريةٍ وقائمة
في الصوت الذي أخذ اللقطة؛
والفلاش، إذ يضيء الجثة وابتسامة الجنود.
- ماما هل اللّه بنتٌ أم صبي؟ ماذا يعني أن
تؤنفل طفلاً وتقتل رجالاً ونساء؟ يسأل ميتان.
- يعني أن تأكل التفاحة حبيبي.

* * *

وجهي الملتصق بالزجاج؛ كلّ من يمرّ في
الخارج يراه أكثر إشراقا
وهو يراقب زهرة النار في ساحة
الأمويين.
الآن فقط أيقنت أن الشمس تشرق من
الشرق.
لا يمكن للطريق أن تنتهي ماما، إنّها
المحطات فقط:

**1**

ديوكٌ تصيح بشدة،
كلما عطست دجاجة.
ديوكٌ بأحذيةٍ ذات كعبٍ عالٍ؛
تحفر البلاط
مثل دمٍ مجهول.

**2**

سأغطي عينيك بنظارةٍ
داكنة؛
كنت نويت الكتابة عنهما الليلة؛
لكني سأكتب عن عيني رجلٍ آخر،
أخمد قانون الطوارئ بريقهما
بالهروات الكهربائية.

**3**

تدور الناعورة بصمتٍ
فاقع؛
والزمن يتلكّأ
في الحناجر.
إنه العاصي؛
يغسل ظهورنا من السياط
ومن رجفات سلكٍ كهربائيٍّ،
رفيع...

**4**

غداً، سأبدأ في وقتٍ
تأخر كثيراً عن البارحة
وأستعير حنجرة الثورات.

**5**

سيارة إسعافٍ تمرّ ببطء
وطفلٌ في الشارع المقابل،
يجرّ ثورةً عتيقة:
هي كلّ ما ورثه عن والديه
الشهيدين.

**6**

بهاراتٌ تغطّي وجه خاروف.
جراد البحر وسرطاناتٌ تفتح مقصّاتها
كلما اقتربت منها، يدٌ أو عينان.
رقائق الجبنة. سمكٌ مدخّن. سلامي...
شرائح خيار وبندورة،
بقدونس وعزاء،
وهواءٌ كثيرٌ تحت مقصلة.

**7**

مات أبي بسكتةٍ قلبية،
وغياث مطر بكل أنواع القتل.
أما إبراهيم القاشوش مغني الثورة و ابن
النواعير الشاهقة،
فقد التحقت حنجرته بالثوار،
وغرق عشقاً
في العاصي.

**8**

تتقاسمين المدينة معي؛
نزق الليل. الشمس والقمر والهواء،
كلّ الهتافات...
ورجلاً كان لي،
ولغيري.

**9**

يقلقني الصباح
وأنا في الشرفة الخامسة،
أقلب فنجاني لمنقار عصفور.
لم يقل وهو يتسرّب إليّ
أنه والموج:
وجهان،
من وجوهي السبعة.

**10**

جسرٌ يرتفع لمرور السفن العالية،
وينخفض للمراكب الصغيرة...
مرّ موكبٌ كبير،
وأنا في الطريق إليكَ،
فنسي الجسر أن يرتفع،
كما أنه لم ينخفض لسيارتي!!

**11**

الطبق فوق الطاولة،
فنجانٌ فارغ
وحقيبتي السوداء.
لم ينتصف الليل بعد؛
ولا أنتظر الصباح يحمله إليّ..

**12**

في الطريق إلى الدانمرك،
أقامر بالخسارات.
لا يفتشون جيوبنا
ولا الحقائب على ظهورنا،
ولا تحت اللسان.
كلّما لم يطيلوا التحديق في وجوهنا،
ازددت خسارةً.

**13**

لم أنتبه أني أمشي حافيةً،
إلا حين رأيت عيون المارّة تتجه نحو
قدميّ.
بردٌ فوق الأرصفة،
يحضّ المراهقين على العناق أكثرَ،
والقُبَل.
قدمان تضربان الأرض بقوة: قفزت
وغطست وحدي.
- قفزت وغطست وحدي.
ماما أنا لا أخشى الغرق.
يقول ميتان،
وطفلٌ لم أر منه غير فردة حذاءٍ،
مليئة بالدم...
سأبتكر حباً جديداً أغمركما به.

**14**

يركض الطفل هاتفاً: لن نركع إلا...
يقتنص الكاتم صوته؛
وبعينين مفتوحتين على الجرح،
يحضن خوذة جندي رفض إطلاق النار،
فتدحرجت إليه، معَ رأسٍ مرفوع:
حماة الديار عليكم سلامٌ...

**15**

من أطلق باراباس
في دمشق؟
من سيعيش في الأرض المقبلة،
ومن سيقود الثورة غير سبارتاكوس؟
يا لها من مثيرةٍ، فاتنةٍ
وفائقة الإغراء ...
كيف لا أغار منها وحبيبي يهجرني إليها،
بكل هذه الرّقة الجارحة؟

"شارلي ولولا" و "يوكو شوكو موكو
توتو"... أفلام كرتون للأطفال. *

# قداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

## الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم

■ ياسر مرزوق

هو سنحريب بن بشير عيواص وحسيبة عطو ولد في الموصل ـ العراق في الحادي والعشرين من شهر نيسان سنة 1933 وهو سليل أسرة سريانية عراقية عريقة، تلقى دروسه الابتدائية في مدرستي التهذيب للأحداث ومار توما الابتدائية الخاصتين بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية في الموصل. انتسب إلى المدرسة الإكليريكية الأفرامية في الموصل في العام الدراسي 1946 ـ 1947. وسُمِّي زكّا. وتخرّج منها بتفوق وحصل على دبلوم في اللاهوت وتاريخ الكنيسة وقوانينها واللغات السريانية والعربية والإنكليزية عام 1954.

بتاريخ 1954/6/6 لبس الثوب الرهباني، ودرّس علوم الكتاب المقدس واللغتين السريانية والعربية في المدرسة الإكليريكية ذاتها. ثم التحق بديوان الكتابة في دار البطريركية بحمص كسكرتير ثانٍ عام 1955 في عهد البطريرك إفرام الأول برصوم. عندما جلس على الكرسي البطريركي البطريرك يعقوب الثالث، عيّنه سكرتيراً أولاً للبطريركية ورسمه كاهناً عام 1957، وقلّده الصليب المقدس بتاريخ 1959/4/15.

انتمى إلى الكلية اللاهوتية العامة للكنيسة الأسقفية في نيويورك عام 1960 ـ 1962 وحصل بعدئذ منها على شهادة الدكتوراه الفخرية في اللاهوت. ثم عيّن مراقباً رسمياً في مجمع الفاتيكان الثاني لدورتي 1962و1963. وفي العام نفسه رسم مطراناً للموصل باسم مار سويريوس زكا عيواص مطران الموصل وتوابعها عام 1963. ورعى الأبرشية في الفترة ما بين 1963 ـ 1969. كماعُيِّن مطراناً لأبرشية دير مار متى بالوكالة بالإضافة إلى مركزه كمطران الموصل في عام 1966.

في العام 1980 انتخبه المجمع الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي المقدّس بالإجماع بطريركاً لأنطاكية وسائر المشرق ورئيساً أعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع وتمّ تنصيبه في كاتدرائية مار جرجس بدمشق باسم "مار إغناطيوس زكا الأول عيواص"، وانتخب رئيساً (أحد الرؤساء الأربعة) لمجلس كنائس الشرق الأوسط بتاريخ 1990/1/22. و رئيساً (أحد الرؤساء السبعة) لمجلس الكنائس العالمي بتاريخ 1998/12/14.

يجب الإضاءة على الشخصية العلمية لهذه القامة السورية، في استعراض لدرجات التحصيل العلمي الديني والدنيوي التي حازها قداسة البطريرك. " دبلوم المدرسة الإكليريكية الأفرامية بالموصل، دبلوم في الصحافة بالمراسلة من مصر، في عام 1972:عين نائبا لرئيس مجمع اللغة السريانية ببغداد، و في عام 1979: عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي. ورئيساً للهيئة السريانية. وعضواً في ديوان رئاسة المجمع. وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية في الأردن.

في عام 1981 حصل على شهادة الزمالة في معهد الدراسات السريانية جامعة شيكاغو. في عام 1984 حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من كلية اللاهوت العامة الأسقفية في نيويورك. في عام 1998 عيّن عضواً فخرياً للمجمع العلمي العراقي. في عام 2000 انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق.

وقد أثرى قداسته المكتبة العربية بعدد وافر من المؤلفات نذكر منها:

1 ـ "المرقاة في أعمال راعي الرعاة مار أغناطيوس يعقوب الثالث" وهو أول كتاب أصدره في عام 1958، ويشتمل على نبذة تاريخية عن بلدة برطلي، وترجمة حياه سلفه المثلث الرحمة البطريرك يعقوب الثالث، مع وصف الزيارات الرسولية التي قام بها إلى أميركا الجنوبية وقرى حمص وحلب.

2 ـ "حسن الشهادة والأداء في سرّي التجسد والفداء" أو "عقيدة التجسد الإلهي" وهو بحث مستفيض في موضوع سرّي التجسد والفداء من الناحية اللاهوتية العقيدية والتاريخية صدر عام 1959.

3 ـ "المشكاة في زيارة راعي الرعاة مار أغناطيوس يعقوب الثالث" صدر عام 1960. وهو وصف الزيارات الرسولية لسلفه المثلث الرحمة البطريرك يعقوب الثالث إلى زحلة، ومصر والأردن، والولايات المتحدة وكندا.

4 ـ "سلسلة التهذيب المسيحية "أربعة أجزاء صدرت عام 1967. 5 ـ "الأسرار السبعة" بحث ديني لاهوتي طقسي صدر عام 1970. 6 ـ "سيرة مار إفرام السرياني" أصدره عام 1974.

7ـ «الحمامة» وهو مختصر في ترويض النساك وسيرة المتوحّدين لمفريان المشرق ابن العبري، حقق مخطوطته السريانية القديمة التي كتبت بعد انتقال ابن العبري إلى الخدور العلوية بأربع سنوات على أقدم النسخ السريانية وعرّبه وكتب له مقدمة تناول فيها حياة ابن العبري ومؤلفاته كما اقتبس باختصار عن الترجمة الإنكليزية التي كتبها المستشرق الهولندي (ونسنك) المتوفي عام 1939 كمقدمة ثانية للكتاب.

8 ـ "كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية عبر العصور" أصدره عام 1980 وهو بحث تاريخي عام عن الكنيسة.

9 ـ "قصة أهل الكهف في المصادر السريانية ": وهو بحث روحي تاريخي.

10 ـ "حصاد المواعظ" جزآن، وهما مجموعة مواعظ ارتجلها قداسته في كاتدرائية مار جرجس في دمشق بمناسبة عيدي الميلاد والفصح ومناسبات دينية أخرى، ومناشير بطريركية وأحاديث روحية، وترجمة حياة بعض المشاهير. صدر الجزء الأول في عام 1984.

11 ـ "مصابيح على الطريق" وهو مجموعة أبحاث تجمع ما بين الأدب الديني، والتاريخ الكنسي، والحياة الاجتماعية، وسير القديسين. 12 ـ "نجوم ساطعة في سماء الكنيسة ". 13 ـ "رائحة المسيح الذكية" وهو سير بعض القديسين.

14 ـ مجموعة أبحاث في شؤون

مسكونية: 1 ـ الكنيسة ومقومات المجمع المسكوني فيها، 2 ـ قبول المجامع، 3 ـ الشركة ما بين الكنائس المحلية والكنيسة السريانية والوحدة المسيحية، 4 ـ نظرات مراقب في مؤتمر "لا مبث".

15 ـ بحوث دينية أدبية وتاريخية متنوعة: 1 ـ صفحة مشرقة من تاريخ الأدب السرياني. 2 ـ القيم الدينية وتنظيم الأسرة. 3 ـ عقيدة طبيعة المسيح الواحدة في الطقس السرياني. والقائمة تطول لتصل لأكثر من خمسين مؤلفاً.

وعن قداسته ننقل:

"نحن السريان نفتخر بأننا أحفاد أولئك الذين وهبوا العالم الأبجدية وشقوا الطريق إلى الحضارات والعلوم فنحن وسورية نسيج واحد هي أخذت منا اسمها ونحن أخذنا منها اسمنا وهذه علاقة دائمة أزلية وأبدية فلا نحن نتخلى عن وطننا سورية ولا سورية تتخلى عنا، وإن السريان لم ينفصلوا عن سورية أبداً وأينما ذهبوا في العالم كانوا ولا يزالون يحملون في قلوبهم وطنهم سورية وحضارته وكذلك لغتهم السريانية لغة سورية القديمة إلى جانب شقيقتها اللغة العربية إلى كل أطراف العالم".

وعن التعايش والتآخي بين المسيحيين والمسلمين في سورية قال البطريرك عيواص: " نحن في سورية نفتخر بحياتنا الوطنية وتعايشنا الأخوي ونضالنا المشترك وسنظل إلى جانب إخوتنا المسلمين في جبهة فعالة تدافع عن الوطن وتحافظ على تراث سورية الوطني وتقف صخرة في وجه تهديدات أعداء سورية والعرب وسداً منيعاً في وجه تهديدات وتحركات الأعداء ".

ولنا أن نذكر لقداسته إحدى الصلوات التي تنم عن طاقة روحية وإيمانية قل نظيرها:

"لقد أحببتَني يا إلهي حتى الموت، موت الصليب، فبادلتُكَ المحبة. و نذرت ذاتي لكَ، و هي ملكك وقد وهبتني إياها كرماً، فكرّستُها لخدمتكَ مسروراً، و قدمتها قرباناً على مذبح محبتك منذ حملي صليبك المقدس و اقتفائي أثرك في طريق الجلجلة، حيث صَلبتُ ذاتي معكَ على الصليب ومتُّ عن العالم، لأحيا بكَ، بل أنتَ تحيا فيَّ. ليتك ترضى بي هيكلاً يسكن فيه روحكَ القدوس. إن كل لحظة من حياتي على هذه البسيطة هي ملك لكَ، فإذا ضَيَّعتُها فيما لا يمجد اسمك القدوس أكون قد سلبتك إياها يا شمس البر اغمرني بأشعتك ليتحول ظلام قلبي إلى نور ينعكس على الآخرين ليعرفوكَ أنت نور العالم الحقيقي، و الطريقَ الذي يؤدي إلى السعادة الأبدية ".

في الثاني من تموز عام 2011 وعلى إثر تصاعد الأحداث في سوريا وجه قداسته رسالة لرئيس الجمهورية ننقل منها:

" لقد علمنا التاريخ الطويل بأن ثقافة المواطنة كلما تعمقت في فكرنا، كلما شعرنا بانتمائنا الحقيقي لتراب سوريا، لهذا فمن موقعنا كرأس للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم، نرى أن زيادة التعاطي مع الحريات العامة، وتجذر الوعي بين أبناء الوطن الواحد، يسهم في إغناء تعددية ثقافاته وأطيافه، كي يبقى الجميع أوفياء للوطن الواحد الذي نريد أن يكون دائما، سيدا، مستقرا، كريما، وحرا، يستظل تحت سقفه كل السوريين، على أن تتوفر لهم التشاركية في الممارسة الديمقراطية لحرية المعتقد، والتعبير عن هواجسه ومكنوناته، التي تحقق المزيد من الكرامة والمواطنة المنشودة ".

# سوريا في الفترة ما بين 1918 – 1920

■ حنين اليوسف

كان يوم 30 أيلول من عام 1918 يوماً مميزاً في تاريخ سوريا عندما رفع الأمير سعيد الجزائري العلم العربي فوق دار البلدية في دمشق إثر انسحاب الحامية التركية منها بعد احتلال دام مدة أربعة قرون.

دخل الأمير فيصل والجنرال اللنبي في 4 تشرين الأول 1918 إلى دمشق وسط احتفال كبير واجتمعا في فندق فيكتوريا من أجل وضع خطة لتحرير سوريا، وأشار اللنبي إلى أنه تلقى تعليمات من حكومته بالسماح لفرنسا بإدارة المنطقة الساحلية من سوريا ولبنان، وأن فرنسا ستكون حامية للمنطقة الممتدة ما بين حلب ودمشق، وأنها ستساعد على قيام دولة عربية في سوريا. لكن الأمير فيصل قام بإعلان تأسيس الدولة العربية في سوريا وعين اللواء علي رضا الركابي حاكماً عسكرياً في دمشق وذلك بغية محاولة قطع الطريق على الفرنسيين والبريطانيين.

قرر اللنبي في 23 تشرين الأول 1918 أن المنطقة الغربية التي تشمل الساحل السوري ولبنان ستكون تحت إدارة قائد فرنسي، أما المنطقة الشرقية التي تضم سوريا الداخلية وشرق الأردن فسيتولى إدارتها اللواء علي رضا الركابي يعاونه ضابطا ارتباط فرنسي وانكليزي.

في 11 تشرين الثاني 1918 اتفق الحلفاء على عقد مؤتمر الصلح في باريس بتاريخ 19 كانون الثاني 1919 والذي شارك فيه الأمير فيصل رغم معارضة فرنسا لذلك بادئ الأمر. ووصل الأمير إلى مرسيليا في 26 تشرين الثاني 1918.

قام الأمير فيصل بعرض القضية السورية أمام المؤتمر في 6 شباط 1919 وطالب باعتراف الحلفاء باستقلال وسيادة الشعوب العربية وبضمان عصبة الأمم. وفي 20 آذار 1919 بحثت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا موضوع سوريا، فأكدت فرنسا تمسكها بسوريا كاملة، ولكن احتجت بريطانيا أن احتلال فرنسا لسوريا الداخلية مخالف لاتفاقية سايكس بيكو. تدخل الرئيس الأمريكي ويلسون واقترح تشكيل لجنة تحقيق رباعية تذهب إلى سوريا لاستطلاع رأي ورغبات الأهالي وتقديم تقرير حولها إلى مؤتمر الصلح على أن تتألف اللجنة من مندوبَين اثنين عن كل دولة من هذه الدول. فاختار ويلسون كل من هنري كينغ وشارلس كراين، بينما اختارت بريطانيا هوجارث ومكماهون لتمثيلها في اللجنة. لم تقم فرنسا بتعيين مندوبيها أما إيطاليا فلم تهتم إطلاقاً بموضوعها.

في 5 أيار 1919 رجع الأمير فيصل إلى دمشق وعقد اجتماعاً مع أعيان البلاد شرح فيه نتائج مؤتمر الصلح وبين أهمية اللجنة التي سيتم إيفادها إلى سوريا لاستطلاع رغبات الأهالي. كما طالب الأمير فيصل بإجراء انتخابات لتأسيس مؤتمر سوري يمثل الأمة. عقد المؤتمر السوري أولى جلساته في 7 حزيران 1919 في مقر النادي العربي بدمشق بحضور سبع وستين عضواً، وانتُخب السيد هاشم الأتاسي رئيساً له. تم افتتاح المؤتمر بكلمة ألقاها الأمير فيصل حول هدف المؤتمر وبيّن أهمية اللجنة القادمة إلى سوريا وأكد على أن هذا المؤتمر يهدف إلى تمثيل البلاد أمام اللجنة وعرض رغبات الأهالي عليها والعمل على سن الدستور للأمة.

وصلت اللجنة في 10 حزيران 1919 وقضت في سوريا 42 يوم، زارت خلالها 1520 مدينة وقرية سورية، وضمت إلى ملفاتها 1863 عريضة من المسلمين والمسيحين تطالب باستقلال سوريا. كما قدم المؤتمر السوري باسم الشعب قراره بالمطالبة باستقلال البلاد استقلالاً سياسياً تاماً على أساس ملكي ديمقراطي دستوري مدني.

ضم ملخص تقرير اللجنة عدة نقاط تم رفعها إلى مؤتمر الصلح في شهر آب 1919، لكن لم يترك هذا التقرير أي أثر على نتائج هذا المؤتمر. من أهم النقاط التي ذكرت في التقرير:

1. يجب أن تكون الإدارة الأجنبية التي ستأتي إلى سوريا قادمة على أنها دولة وصية غايتها مساعدة الشعب السوري، لا دولة مستعمرة.

2. رفض الشعب في سوريا الدعوة الفرنسية بوجود مصالح ذاتية لها في سوريا.

3. المحافظة على وحدة سوريا.

4. أكثر من نسبة 60٪ من العرائض السورية أكدت على رغبة الشعب السوري بأن تعهد عصبة الأمم إلى الولايات المتحدة أمر الوصاية على سوريا، أما في حال رفض الولايات المتحدة لذلك فإن الوصاية تكون لبريطانيا.

بتاريخ 15 أيلول 1919 وقّع كل من لويد جورج وكليمنصو رئيسا وزراء بريطانيا وفرنسا على اتفاق عسكري ينص على قبول فرنسا بجلاء القوات البريطانية عن سوريا وكيليكية على أن تحل محلها القوات الفرنسية غرب خط سايكس بيكو وفي كيليكية. في 17 أيلول نشر البلاغ التالي: "تقرر في الاتفاق الذي عقد بشأن الحلول محل الجنود البريطانيين في سوريا وكيليكية أن تترك من الآن المدن الأربعة (دمشق – حمص – حماة – حلب) خارج منطقة الاحتلال العسكري الفعلي". اعترض كل من الأمير فيصل وهاشم الأتاسي على هذا الاتفاق.

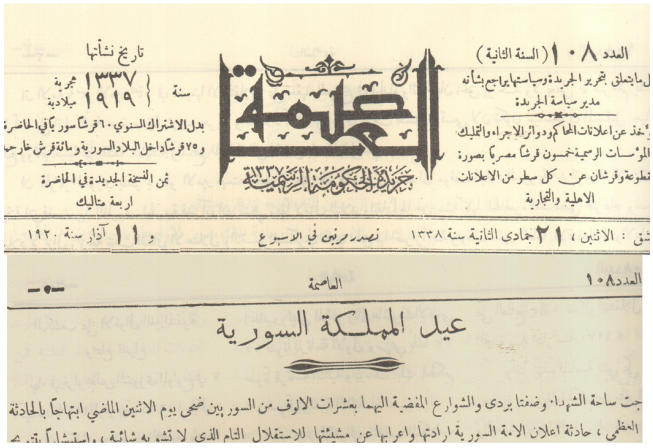
العدد ١٠٨ (السنة الثانية)
العلمية
جريدة الحكومة العربية السورية
تاريخ نشأتها
سنة ١٣٣٧ هجرية / ١٩١٩ ميلادية
بدل الاشتراك السنوي ٦٠ قرشاً سوري باقي الحاضرة و ٧٥ قرشاً داخل البلاد السورية و مائة قرش خارجها
ثمن النسخة الجديدة في الحاضرة اربعة مثاليك
العاصمة
العدد ١٠٨
عيد المملكة السورية

لاحقاً وبعد انسحاب القوات البريطانية من سوريا دون أن تنسحب الوحدات الفرنسية منها، وإثر تعيين الجنرال غورو مفوضاً سامياً لفرنسا، تبين للأمير فيصل نية فرنسا باحتلال سوريا، فقرر السفر إلى باريس بغية التفاهم مع حكومتها حول وضع سوريا. التقى الأمير برئيس وزراء فرنسا كليمنصو ووقع معه اتفاق عرف باسم (فيصل – كليمنصو) بتاريخ 7 تشرين الثاني 1919، اعترفت فرنسا بموجبه للسكان الناطقين بالعربية والمقيمين في سوريا من كافة المذاهب بحقهم بأن يتحدوا ويحكموا أنفسهم بشكل مستقل. كما أكد الأمير فيصل أن السوريين يحتاجون المساعدة من قبل أمة مشاركة ليتمكنوا من تحقيق وحدتهم وقوتهم وذلك بسبب ضعفهم في الفترة الراهنة، بعد اختلال نظامهم الاجتماعي إثر اضطهاد الأتراك لهم. وطلب الأمير فيصل تسجيل هذه المشاركة من قبل جمعية الأمم بعد تكوينها فعلاً على أن تكون هذه المشاركة مَهمة فرنسا.

من الجدير بالذكر أن هذه الاتفاقية كانت بالنسبة إلى فرنسا مجرد حبر على ورق ولم تحترمها أو تلتزم بها بأي وقت بل على العكس اخترقتها بعد أسبوعين بحجة الحفاظ على نظامها وأمنها.

بعد أن رجع الأمير فيصل إلى دمشق عمل على تهيئة الأوضاع للقبول بمعاهدته مع كليمنصو، ولكن بمجرد وصوله انتشرت أخبار المعاهدة وقوبلت بالرفض الشديد، واتهُم الأمير فيصل بأنه تنازل للفرنسيين ورضخ لطلباتهم. وفي تاريخ 7 آذار 1920 أصدر المؤتمر السوري، وبعد عقده جلسة خاصة لدراسة المعاهدة، قراراً تاريخياً بإعلان استقلال سوريا واختيار الأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها. في اليوم التالي أبلغ المؤتمرُ الأمير فيصل عن مبايعته ملكاً للبلاد، ودُعي إلى حفل التنصيب مندوبو بريطانيا وفرنسا وقناصل الدول، ورُفع العلم السوري فوق دار البلدية، كما أطلقت المدافع 21 طلقة احتفالاً بذلك، ونادى الجميع "يحيا الملك".

تألفت أول وزارة في عهد الاستقلال بتاريخ 25 آذار 1920 برئاسة السيد رضا باشا الركابي، كما تشكلت لجنة يرأسها السيد هاشم الأتاسي وضعت أول دستور للبلاد على أساس النظام الملكي الديمقراطي.

في هذه الأثناء أعلن البريطانيون والفرنسيون عدم موافقتهم لقرارات المؤتمر السوري واتفقوا على دعوة مجلس الحلفاء من أجل بحث أخر التطورات السورية، فعقد المجلس في 18 – 25 نيسان 1920، وتقرر فيه وضع البلاد العربية من الخليج العربي إلى البحر المتوسط تحت سلطة الانتداب، لتكون سوريا ولبنان من نصيب فرنسا، وفلسطين وشرق الأردن والعراق من نصيب بريطانيا، مع الالتزام بوعد بلفور.

ثار الشعب السوري عند علمه بقرارات مجلس الحلفاء، واتهم حكومة رضا باشا الركابي بميله لقبول الانتداب، وطالب باستقالة هذه الحكومة، فوافق الملك فيصل على هذا وأصدر بتاريخ 3 أيار 1920 مرسوماً ملكياً ينص على تعيين هاشم الأتاسي رئيساً للوزارة، كما أحدث وزارة للخارجية لأول مرة.

قامت هذه الحكومة بعقد قرض وطني وبتوسيع نطاق التجنيد، كما حددت مهامها بالحفاظ على الأمن الداخلي، وبالدفاع عن حقوق الوطن خارجياً.

في 19 أيار 1920 صدر بيان عن الحكومة يرفض اتفاق فيصل – كليمنصو ويقرر الدفاع عن استقلال البلاد، الأمر الذي عمق الخلافات في سوريا بين الملك فيصل والحزب الوطني السوري من جهة وبين أغلبية الوطنيين برئاسة هاشم الأتاسي من جهة أخرى، مما أتاح للجنرال غورو فرصة العبث بأمن البلاد واستقرارها ومهد له السبيل لقطف ثمار عدوانه والبلاد في حالة من الفوضى.

دخول الأمير فيصل 4 تشرين الأول 1918

## محمود محمود

أتخيل أولئك الذين قضوا تحت التعذيب في تلك الأقبية المظلمة الرطبة وهم يصرخون في وجه جلادهم المسعور حين يسألهم: بدكن حرية؟!! أتخيلهم يصرخون قائلين: أي بدنا حرية، بدنا حرية إلنا ولولادنا، بدنا حريّة إلك ولولادك!! فيقضون تحت شدة خوف الجلاد من حريّة أولاده.

## رباب البوطي

إلى: المجلس الوطني، هيئة التنسيق، ضباط الجيش الحر، القائمون على لجان التنسيق، تجمع نبض، تجمع شمس، تجمع معاً، حركة شباب 17 نيسان، تجمع الشارع السوري، وصولا إلى منظمي المظاهرات على الأرض والعاملين الأساسيين على الإغاثة.

أدعوكم إلى الاجتماع على طاولة واحدة.. لوضع خطة عمل أكيدة وسريعة وفورية شاملة لكلا الخطين السياسي والميداني، أو قوموا بنشر بيانات متفرقة على صفحاتكم (الافتراضية) تنعون فيها كامل الشعب السوري

## هالا المفتي

سوريا هذا الوطن الرائع الذي جرد من تاريخه وتقزم وجوده ليُختصر بشخص واحد فقط، فقدا لعشرات السنين مكبلاً باسم العائلة الحاكمة، وعلى الجميع السمع والطاعة والسجود لهذا الإله الوضعي الذي لم تلد الأرحام قبله ولا بعده، ولكن، كيف، و بشهادات كثيرة "لشعب تسري في دمائه جينات العزة والإباء والكرامة أن يستكين لهذا الواقع، فمهما طال الزمن عليه، لا بد ليوم ينفض عنه قهر السنين، ويثور لحريته المسلوبة و وطنه المغتصب، وها هو اليوم قد أتى، ومن خبر نسائم الحرية، محال أن يرضى عنها بديلاً، ولن يعود إلى بيته إلا و حريته في يده.. مهما فعلوا و أخطأوا في حساباتهم حول هذا الشعب البطل

## خلود زغير

بعد سنة من الثورة.. تليق الحرية والكرامة بالشعب السوري.. لا تليق الديمقراطية بالمعارضة السورية..

## حسام القطلبي

يسأل مذيع الدنيا بحماس أحمق ضيفاً تونسياً منتقى لاتصال عفوي: هل جعلكم ما حدث في تونس، مما يسمى ثورة هو في الحقيقة فوضى، أبعدَ عن القضية الفلسطينية؟

يجيب الضيف التونسي الممانع غير مدرك للمعنى السوري للسؤال، و بعد إعلان تضامنه ووقوفه ضد المؤامرة الكونية على سوريا.. إلى آخر السردية، ثم: نحن الآن أكثر حرية من قبل في التضامن مع الشعب الفلسطيني و نستطيع أن نقوم بكل ما نريده لمناصرة هذه القضية.

امتع وجه مذيع الدنيا لاعنا اجتهاده الغبي.. شكر بسرعة الضيف المنتقى لاتصال عفوي و أنهى المحادثة.

## طارق ملص

طلبت ستاتوس من صديقة، فكتبت..
حتى في الصمت هناك موسيقا
من ينصت يستطيع سماعها..
فينا نعتبر الصامتين بسوريا سميعة مثلا؟؟

## سونغا يونغا

صدقوني إن شئتم
هذا النظام عندما يثرثر كثيراً فهذا يعني ضعفه
فهو عندما كان قوياً كان كالأخرس

## مصطفى الجرف

أقرأ الجرائد العربية و الانكليزية، اسمع تصريحات هيلاري كلينتون و وليم هيغ و حسن نصر الله و رياض الأسعد، أراقب سلوك المعارضة، أشاهد قصف الدبابات و أشلاء الشهداء و العائلات المشردة بين السماء و الأرض.. يسود قلبي و أحس بإحباط كامل، ثم انتشي و انتفض فرحا و أصيح قائلا: هل تريدون لنا أن نيأس ؟!!.. عجبا !!.. و ماذا ينفعكم هذا ؟!.. نحن شعب يقتات باليأس !!.. ألا تسمعوننا نهتف: ما لنا غيرك يا الله ؟!!..

## نجوى شلبي

في بدينا بقية من بلادٍ فاستريحوا كي لا تضيع البقية..

## خولة الحديد

كلينتون.. كلينتون في الخليج.. لتقنع الخليجيين بأنّ في التريث حكمة بشأن دعم السوريين.. فيما يخص الدم السوري.. الجميع أصبحا حكماء !!.. يا للعهر.. والعار الذي لن يبرح الإنسانية عبر تاريخها القادم !!

## صالح الحاج صالح

عندما كنت صغيراً، كنت أجيب على سؤال: ما هي أمنيتك بعد حصولك على البكالوريا ؟ كنت أجيب، ضابط أو الأحسن أصير طيار وأحارب إسرائيل.. من هم في سني وانتسبوا إلى المؤسسة العسكرية " حماة الديار " أصبحوا الآن في رتبة عميد أو أعلى - حسب الحال - وأفترض أنه كانت لهم نفس الأمنية، فهل تحققت أمنيتهم في بابا عمرو والخالدية والمعرة وسراقب والقورية والزبداني.

## هيا الحاج حمد

أصبحت سوريا مشفى ميدانية تلملم جراحها بمفردها وتحبس صوت المها التعب من النداء لا يعلمون أنهم يجرحون ارض لها كرامة كون وما زالت تجرح وتقاوم تجرح وتنهض تجرح فتنتصر..

## زين الباشا

كلنا يرى النهاية الحتمية لهؤلاء أصحاب الدم الأزرق من القتلة والمجرمين هم وأسيادهم، "رؤية العين".
لكن المفجع: كم من دماء بريئة ستُسكب لتغسل هذا الوطن.. !!
فأهلنا يتناقصون كل ليلة.. فقد ذهب ابن العم و ومات ابن الخالة، وضاع الجار، وهُجّر الأصدقاء، واختفى الخال، واعتقل ابن العمة.. قلبي عليك يا ابن العمة..
اسأل الله لك "مينة سريعة" دون عذاب هؤلاء الوحوش.

## آية الأتاسي

يوم الأرض السوري لا يشبه يوم الأرض الفلسطيني..
في سورية لا تملك ترف الموت على النقالة إثر إصابة، بل تظل مرمياً حتى ينجح رفاقك باصطياد بسنارة الموت.. و لا تركض هارباً من رصاص مطاطي، بل يرديك الرصاص الحي صريعاً و تتكفل جحافل الشبيحة بالتنكيل بك ميتاً.. و لا تجد مسعف ليسعفك، فدخول المشافي بوابة موتك الأكيد.. و لا شيخ يصلي عليك صلاة الجنازة، فالدفن تحت جنح الظلام و بالخفاء..
آه على هيك زمن أصبحنا فيه نعتبر أبشع أنواع الاحتلال ممثلا بالاحتلال الإسرائيلي نعيما!!!! فقد وجد من هو أجرم و أعنف و أشد سادية.. و يستمر النضال ضد كل أنواع الاحتلال..

## يامن حسين

تقول وهي تعبر شارع الستين بحمص وترى سيارات الشبيحة التي تنهب وتسرق حتى بلاط البيوت في حي عشيرة.. لن يغسل هذا العار دمع.. سندفع ثمناً لا يطاق لأفعال لم نرتكبها ولم نوافق عليها سندفع ثمن قلة الحيلة أمام هذا المارد المسمى نظام عصابة.. تنهمر دموعها تحمل طفلها الوحيد وتستلقي بجوار النافذة بحي الزهراء تودع بعينين دافئتين ملاعب الطفولة تدرك تماماً أن من رحلوا قسرا سيرحلون من رحلهم قسراً ولا عزاء للأبرياء

## صخر الحاج حسين

من المعروف أن قمر الربيع يغير كيمياء أجسادنا ويجعلنا تواقين للحب والجنس. كيمياء هذا الربيع الذي عمره عام ونيف غيّر إضافة إلى أجسادنا، كيمياء أرواحنا فباتت شبقة للحرية..

## حسان عباس

في ضاحية آمنة من ضواحي دمشق، طردت السيدة صاحبة البيت العائلة الحمصية النازحة. امرأة وثلاث صبايا والأب خرجوا في أول الليل إلى المجهول. الخمسة كانوا يبكون. لم يتطلع الأب لا إلى الناس العابرين ولا إلى السماء. كان مطأطأ الرأس، لكن كلماته وصلت إلى الجميع: الله يذل من أذلنا.

**حاجة نظام إلى الدبابات للسيطرة على مدنه هي تعبير عن هزيمته. مر أكثر من عام على اندلاع الثورة السورية، أطول الثورات العربية، وإغناها فداء وتضحية، وأغزرها ملحمية، وأتوقها للحرية. إنها الثورة التي حققت الحرية والكرامة لصانعيها قبل أن تنتصر وتحقق الحرية السياسية. ويمكننا الآن الإضافة أن أعداءها كانوا أكثر الناس ثرثرة وزعيقا حول المؤامرة والتدخل الخارجي، ليتبين أنها الأقل تدخلا خارجيا حتى اليوم. وسبق أن بينا في عدة مواقع أنه لا نية لدول الغرب أن تتدخل عسكريا لأسباب شتى، وأن خلافات القوى الديمقراطية السورية حول الموضوع هي خلافات نظرية. وفي حينه لم يصغ كثيرون. وخلطوا الأماني بالتحليل.**

**حتى التسلح دفاعا عن النفس لا يسمح به إلا نادرًا. ولا شك أن من يذكر إطلاق النار الكثيف في الهواء في ليبيا بمناسبة ومن دون مناسبة لا شك قادر على الملاحظة أنه لا يوجد في سوريا من يطلق النار في الهواء لقلة الرصاص. وهذا من سيميائيات الثورة السورية الدالة. يجري تسلح القوى الثورية المدنية السورية، وليس تسليحها، بشق الأنفس. ومن يعارض الدفاع عن النفس لا يعرض على الناس بديلا سوى القتل. فالنظام يفشل اقتراحات أصحاب النوايا الحسنة كافة، ولم يبق على بدائل سلمية في جعبتهم.**

**إذا استمر الوضع القائم حاليا فسوف يبتعد نموذج الحل السياسي السلمي الذي يشمل تفويض النائب والتحول نحو الديمقراطية بعملية دستورية وانتخابية، أو تزهق روحه تحت جنازير الدبابات. وسوف يقترب للأسف النموذج الصربي. والمفارقة أن روسيا كانت في الحالتين عائقا أمام الحل السياسي، ولكنها لم تتمكن في صربيا من حصر تداعيات فشل الحل السياسي لاحقا، إذ فرض عليها وعلى ميلوسيفتش.**

**ما هو أكيد أن السوريين لن يتوقفوا قبل تغيير واقعهم السياسي، والتوقف عن التظاهر حين تدخل الحي دبابة، ليس انتصارا للدبابة ولا هزيمة للمتظاهرين. حاجة نظام إلى دبابات للسيطرة على مدنه هي إعلان هزيمته.**

**د. عزمي بشارة**

---

| أنت كمواطن سوري، تربى في سوريا وتعلم في مدارسها قبل أن يهاجر، برأيك لماذا تحرك السوريون ضد نظام الحكم هناك؟

| | من يلتزم الصمت اليوم هو مجرم، بل ويرتكب جرائم ضد الإنسانية، كما يرتكبها النظام الأسدي المجرم. لنتكلم كبشر عاديين وليس كفنانين أو مثقفين. فأي إنسان يرى تعذيب وقتل طفلة صغيرة كعفاف أو هاجر وغيرهم أو ناشطين مثل طل الملوحي التي اعتقلت، أو إبراهيم القاشوش، لا يمكن له أن يصمت. فالصمت هنا غير مقبول لا أخلاقيا ولا دينيا ولا إنسانيا.

الشارع السوري انتفض اليوم لأنه بقي لأكثر من أربعين سنة مقهورا مظلوما لا يستطيع التفكير، وهذا الأمر ينطبق على الشارع العربي عموما. هذا الأمر أدى إلى انتشار الجهل، لأن مستوى الإدراك أصبح دون مستوى المطروح، فمثلا تعطي البعض قرآنا ليسمعه، ولكنه لا يسمعه، بل يذهب ويسجل صوته ليستمع لنفسه، أو تعطيه سيمفونية، فيرفضها ويستمع لأغنية «أبوس الواوا»، فتم نشر الانحطاط الخلقي والتلوث البصري والصوتي. أما اليوم فقد اكتسب الشارع حريته بكل أبعادها وخاصة الفكرية واكتسب شجاعته وصار يفكر. وهكذا عدنا لعراقتنا وحضارتنا.

ونحن نتكلم دائما عن الماضي، لأن الأنظمة الديكتاتورية أدت إلى تأخيرنا كثيرا في السلم الحضاري الإنساني. منطقتنا العربية هي مهد الحضارات والديانات؛ ونحن من ابتكر الأبجدية والسلم الموسيقي وغير ذلك، لأننا كنا أحرارا. واليوم نشهد ثورة تاريخية فكرية تعيدنا إلى مرحلة ما قبل الأسد وما قبل هذه الأنظمة الديكتاتورية الفاسدة، لنعود إلى جوهرنا وهويتنا الحقيقية التي زيفها هذا النظام الفاسد.

| ولكن أليست العودة إلى مرحلة سابقة تراجعا وليست تقدما؟

| | لا، أبدا. نحن في سوريا، قبل مجيء البعث وقبل مجيء الأسد، كان لدينا نظام برلماني ديمقراطي، وكان لدينا تعددية حزبية، ولدينا بنوك خاصة، واحترام لحقوق الإنسان، بصورة أفضل بكثير مما هي عليه الآن في ظل النظام الحالي.

| وهل تخشى من الطائفية في سوريا، ومن الاضطهاد للطوائف الأخرى؟

| | لا، أبدا. أنا كإنسان سوري خذني كمثال بسيط أمامك. أنا إنسان مسلم أصلي الجمعة في المسجد وذهبت إلى الحج، وعملت لعشر سنوات كعازف بيانو في إحدى الكنائس، وسكنت مع عائلة يهودية هنا في أميركا لسنتين عندما كنت طالبا. ونحن في سوريا من استقبل الأخوة الأرمن لدينا، في ظل الدولة العثمانية، ونحن من استقبل العراقيين واللبنانيين والفلسطينيين. يجب أن نفرق بين النظام الديكتاتوري وبين الشعب السوري الحضاري. نحن ليس لدينا أي نفس طائفي.

| هل لك أن تخبرنا كيف يتفاعل المواطن الأميركي العادي مع ما يراه في سوريا؟

| | في آخر حفلاتي أبرحت في البكاء وقلت للجمهور: أنا أعزف أمامكم الآن وفي نفس اللحظة يمكن أن يكون طفل سوري قد قتل. وبالمناسبة أنا أقدم حفلاتي خيرية بالكامل، ويذهب ريعها بالكامل لدعم الثورة السورية. ولو أني استطعت تقديم المزيد لقدمت.

ما أود قوله هو أن العالم أجمع مشدوه بشجاعة الشعب السوري. هنا في أميركا لديهم ما يسمى بـ «مقاتلي الحرية». ومقاتلوا الحرية هم رمز كبير في أميركا لأولئك الأبطال الذين ضحوا بحياتهم من أجل نيل حريتهم. كثير من الأميركيين قالوا لي بأن الشعب السوري تخطى بمراحل بطولة مقاتلي الحرية هؤلاء. إن الحرية سلعة باهظة الثمن، ونحن ندفع الآن في سوريا ثمنا باهظا لنيل حريتنا.

وبعد أن يسقط النظام يجب أن نحتفي باختلافنا العرقي والديني، لأن الإسلام وهو دين الأغلبية في سوريا يحتفي بالتنوع، والحضارة الإسلامية ازدهرت عندما أخذت من الآخر. إذ أخذت من الحضارات الهندية واليونانية والصينية وغيرها. لذلك تشكلت سيمفونية إنسانية جميلة. والقاعدة تقول: لا قوميات في الإسلام. فكل القوميات لها الحق في المواطنة.

السؤال والجواب: من حوار مع الموسيقار السوري مالك جندلي | حاوره: فلاح آل ياس - قنطرة 2012

# هكذا تكلم ابن عربي.. نصر حامد أبو زيد

■ ياسر مرزوق

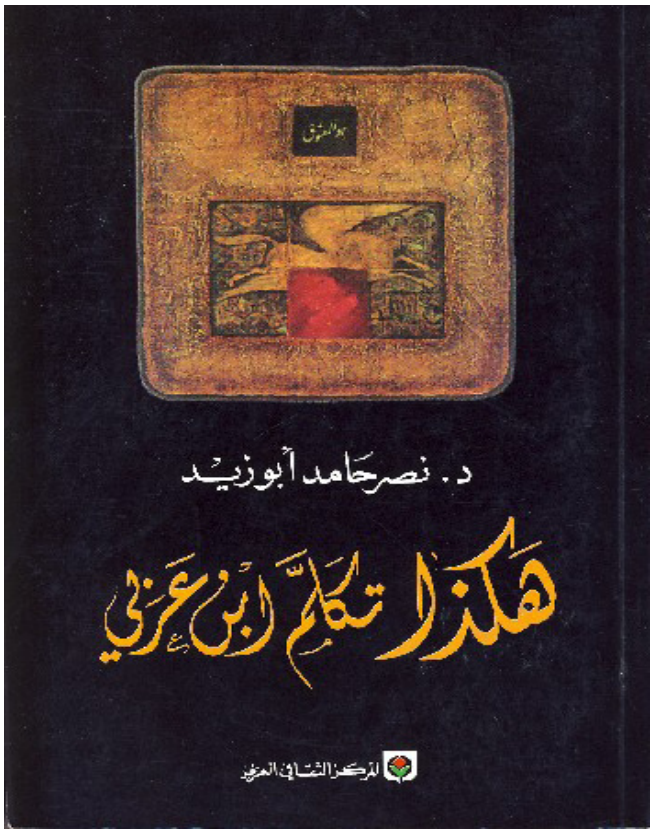


محي الدين بن عربي القطب الأكبر وشيخ المتصوفة والفيلسوف الإسلامي الأول. ليس للقارئ لنظرية ابن عربي في الخلق والحياة والألوهة أن يقف على الحياد. فابن عربي عالمٌ قائمٌ بحد ذاته ليس للقارئ إلا أن يدور في فلكه وأفضل بوابة لدخول عالم ابن عربي هو كتابنا اليوم، وقد اخترته ليس لكون قراءات الصوفية فرضٌ لازم على كل مثقف، بل لحاجتنا وفي ظرفنا الراهن لنسق قيمي أخلاقي عماده المحبة والحب الإلهي ووحدة الوجود واحترام كل المخلوقات احتراما لخالقها.

وكتابنا اليوم للمفكر المصري " نصر حامد أبو زيد" الذي عكف على إنجازه إثر خروجه من القاهرة بعد المواجهة المشهورة في المحاكم بينه وبين الإسلاميين بتهمة الردة، ومطالبتهم بالتفريق بينه وبين زوجته، وانتقاله من القاهرة إلى جامعة ليدن في هولندا بعدما ضاقت في وجهه سُبُل الاجتهاد.

يبحث أبو زيد في فكر ابن عربي، ويدور في فلكه، ويجري في مداراته، ويطرح أفكاره، بسطاً وعرضاً وتحليلا، ويطوف بنا في فكره العميق الأصيل المنفتح، ليزيدنا وعيًا ومفاجأة وتواصلا، ويعود بنا إلى نقطة البداية في فكر ابن عربي الدائري المحيطي، ويكشف لنا بعضا من جوانب التجربة وجوديًا وعرفانيًا.

انتهى نصر حامد أبو زيد من وضع هذا الكتاب في حزيران 2001 بتكليف من دار "هردر" الألمانية، ضمن سلسلة عن أعلام الروحانية في الشرق والغرب "كتبه بالعربية، ثم تُرجم إلى الألمانية". ونشرته دار" المركز الثقافي العربي" عام 2004.

منذ المقدمة يؤكد أبو زيد صعوبة الفصل، في خبرته الدينية، بين التجربة الروحية والأسس العقلانية للوصول إلى المعرفة في قطبي التراث الإسلامي. ويطرح المؤلف السؤال الجوهري: هل مازال ابن عربي قادرًا على مخاطبة قضايا عصرنا؟ ويلقي إجابته الأولى في ما دعا إليه ابن عربي، أي دين الحب الذي يتسع لكل العقائد، وهو أصل العلاقة بين الحق والخلق. ولكن إزاء الصدام الحضاري والعلاقة الصعبة اليوم بين العالم العربي والغرب، ما العمل؟

يحاول أبو زيد في كتابه استكشاف ما قاله ابن عربي عن الحضارات والثقافات والأديان، بكونه – وهنا مكمن الأهمية – بعضًا من الرد على العولمة التي تطرح نفسها اليوم، سياسيًا وثقافيًا وحضاريًا، بوصفها "الدين الجديد للعالم"، بحسب المؤلف. وثمة، بالطبع، فئات واسعة متضررة من قوانين هذا "الدين الجديد" الذي يسعى العديد من البشر إلى مقاومته. كيف؟ ليس بالأسلحة التقليدية للدين كنسق ونظام، بل بوصفه تجربة روحية ذاتية، هي أساس المعرفة الدينية، بحسب الصوفية. فمن خلال التجربة يحاول الصوفي التواصل مع مصدر المعرفة بدلا من نصوص الشريعة. على هذا المنوال ينسج أبو زيد كتابه؛ ومدخله إلى عالم اليوم حضور فكر ابن عربي فيه، وتمثيله قمة نضج الفكر الإسلامي، إلى كونه همزة الوصل والتواصل بين التراثين العالمي والإسلامي، ومساهمته في إعادة تشكيل التراث الإنساني، والتأثير فيه، وقراءته، وبلورة كثير من المفاهيم والتصورات، بلوغا إلى تعاليمه الصوفية التي انتشرت نظريًا وعمليًا.

ويشدد أبو زيد في طرحه على أن استحضار فكر ابن عربي اليوم هو:

1. مساهمة في ترسيخ قيم الحوار والتفاهم والاحترام المتبادل؛ 2. رصدٌ لتحرر العقل المسلم المعاصر من آثار المشكلات السياسية والاجتماعية والثقافية؛ 3. إظهار صورة مختلفة، لغير المسلم، عن روحانية الإسلام ومفهوم الجهاد وما أصابه من تشوُّه.

يقع الكتاب في إهداء ومقدمة وتمهيد وستة فصول. ويعرِّف أبو زيد بالشيخ الأكبر من خلال ما يتخيَّره من المسار الخاص بحياته كانقلاب أو كتطور طبيعي في بناء الشخصية. ويمشي أبو زيد في إثر الشيخ من الجاهلية إلى طريق العرفان، ومن مرحلة الخير بلا علم إلى مرحلة الخير المؤسَّس على المعرفة، ومن الإيمان إلى العرفان. ويذكر أيضًا إرهاصات ترحُّله بين المغرب والأندلس وأسبابه.

وفي الفصل الثاني، "قيود المكان وضغوط الزمان"، تأخذه التجربة وقواعدها إلى أن الطريق إلى الحقيقة تتعدَّد بتعدُّد السالكين. هكذا تقول الصوفية؛ ويضيف ابن عربي أنها تتشكل وتتلوَّن مثل الماء والإناء. يحاول المؤلف الإحاطة بتجربة ابن عربي الروحية من جانبين: التاريخ والروح؛ ومن خلال هذه الجدلية يتم تطبيق نظرة ابن عربي إلى الوجود والمعرفة والإنسان.

وثمة في الكتاب فصل مخصص للقاء ابن رشد وابن عربي؛ وفيه يسأل أبو زيد: هل كان ابن رشد آخر خيط يربط ابن عربي بالأندلس؟ إذ لمَّا انقطع الخيط بوفاة ابن رشد قرر ابن عربي الرحيل بلا عودة. ولكن السؤال الأصعب هو: إذا كانت آمال ابن رشد تحققت في الغرب شمال المتوسط، فهل تحققت آمال ابن عربي في شرق العالم الإسلامي؟ وإلى أيٍّ حد؟ وكيف وصلنا إلى هذا الدرك ولم نستلهمه؟ يذكر الكاتب اللقاءات بينهما وأبعادها ودلالاتها، ويحللها تبعًا للمكان والزمان والإشارة والدُّرب. إلا أنه يتوقف، في تحليله فكر ابن عربي، عند نسقه الفكري لإزالة التعارضات الثنائية من الوجود والمعرفة والفكر، عبر إقامة وسائط تجمع وتوحِّد بين كل الثنائيات. ويشرح مفهوم الحجاب لديه، الذي يمثل الوجود والظاهر، ويمثل حجابًا على الحقيقة. ويفتح الحديث عن التجربة الصوفية بين الكشف والستْر في جدليَّة الوضوح والغموض. فمنشأ الوضوح والغموض يجد تفسيرَه الأساسي في طبيعة التجربة الصوفية – وجوهرُها انفتاح الأنا على المعنى الباطني للوجود كلِّه، باعتبار التجربة الصوفية موازية لتجربة الوحي. وتماثل التجربتين يفضي إلى تماثل الخطاب الصوفي، لناحية بنية لغته التعبيرية، مع الخطاب القرآني. ولذلك يميِّز المتصوفة بين الإشارة والعبارة: الإشارة مجرَّد إيحاء المعنى، من دون تعيين وتحديد؛ والعبارة تحديدٌ للمعنى يجعله مغلقًا نهائيًا. أما فكر ابن عربي فيراه أبو زيد صيرورة تبدأ ولا تنتهي: "ومثله في بنائه الدائري اللانهائي مَثَل التجليات الإلهية التي لا أول لها ولا آخر" (ص 153). ويحيل على خطبة كتابه الفتوحات، لما تتضمَّنه من بنى ومحتوى:

1. تلخيص لأهم المحاور الكبرى في فلسفته، 2. رؤيا في التشخيص الرمزي، وتجسيد المجرَّد، والجمع بين الحقائق؛ 3. تلخيص الكتاب بلغة رمزية كاشفة وملغَّزة.

يعالج أبو زيد في الفصل الخامس قضية "نشأة الوجود ومراتب الموجودات"، مستخلصًا أن هناك ثلاثة عناصر في تفسير نشأة الوجود: الأول هو مفهوم التجلي الأسمائي؛ والثاني هو التجلي في النَّفَس الإلهي؛ والثالث هو مفهوم النكاح. ويعتبر أن الوجود ينبع من بعدين وأساسين: الحب، من ناحية، والرحمة، من ناحية ثانية. والنَّفَس الإلهي هو البرزخ والوسيط الجامع الذي ينتظم الكون كله. ويعرضه لمفهوم التجلي يرى أن هناك نمطين: التجلي الوجودي للظهور في أعيان صور الممكنات، والتجلي الإلهي المعرفي على قلوب العباد. وشرط التجلي نهوضُ العبد بواجبه في الرحيل خارج العالم، والولوج إلى حضرة الحق، وارتفاع الحُجُب عن صورة العارف. وبرهانه هنا هو الحديث القدسي الذي يحتفي به المتصوفة: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن."

أما في نظرة ابن عربي لتأويل القرآن – كلام الله في الوجود – فيتماثل تصوُّره للنصِّ الديني مع تصوراته الوجودية والمعرفية. فهو الوجود المتجلي من خلال اللغة. فالقرآن يمثل البرزخ بين الحقِّ والإنسان؛ والمعنى هو برزخ الكلمة الجامعة.

يناقش أبو زيد في الفصل الأخير من كتابه موضوع "تأويل الشريعة: جدلية الظاهر والباطن". يؤسِّس ابن عربي لباطن الشريعة بكونه انعكاسًا لباطن الوجود. أما الوقوف عند الظاهر فيفضي إلى التعصُّب المبني على ادِّعاء امتلاك الحقيقة. ليس في العالم مرضٌ يحتاج إلى علاج، بل فيه تعصُّب يحتاج إلى التواضع، يقول الشيخ الأكبر. والتعصُّب يفضي إلى الإرهاب المعنوي والتاريخي. ويستشهد أبو زيد، في تفسيره رأي ابن عربي في الظاهر والباطن، بالتاريخ الشاهد على محاكمة الحلاج والسهروردي، كأنه يخاطبنا من القرن الثاني عشر والثالث عشر بلا حجاب، مصيبًا الحقيقة.

يسلط أبو زيد أضواء حديثة على فكر ابن عربي في مفهوم الشريعة، ويجد أن له ثلاثة أبعاد، شأن كل مفردات فكره: البعد الوجودي والبعد المعرفي والبعد الإنساني. وإظهارًا لوعي ابن عربي وموقفه المتقدم يتناول أبو زيد مسألة خلافية، كجواز أن تكون المرأة إمامًا في الصلاة. ويرى ابن عربي أنه من الجائز أن تؤمَّ الرجال والنساء، معتبرًا أن لا نصَّ يمنع، والرسول شَهِدَ لبعضِ النساء في الكمال. ولكنه، على مستوى الاعتبار، يوازي بين الرجل والعقل وبين المرأة والنفس موازاة قد تشي بأن المرأة أدنى من الرجل. ورغم أهمية موقف ابن عربي في المسألة، إلا أنه لا يمكن توقع أن يخترق كل المحرمات الاجتماعية في عصره وتاريخه وثقافته؛ بيد أنه موقف يُبنى عليه، وخاصة أن تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة ما برح أحد مشكلات الثقافة الإسلامية المعاصرة، وفي درجات متفاوتة بين المجتمعات المتخلفة والمتقدمة.

في كتاب نصر حامد أبو زيد هكذا تكلم ابنُ عربي عَصْرَنَة لفكر ابن عربي وتواصل مع الحاضر، من خلال رؤية الوجود كظاهر وباطن، والشريعة كظاهر وباطن، والإنسان كذلك. وحين يُعمَل بهذا الأمر تنكشف الحُجُب، وينبثق المعنى، وتنجلي الحقيقة. وعبر ذلك، يظهر المعنى، معنى الوجود والحياة، المعنى الإنساني الشمولي العام، معنى الدين الذي يشمل كل البشر.

كَتَبَ نصر حامد أبو زيد هذا الكتاب بعقله وقلبه، مشغوفًا بالدفاع عن الفكر والإنسان والمعنى والحرية – وأبو زيد كابد مثل هذه المعاناة – في وجه التعصب والعنصرية. ويجعل من فكر ابن عربي مشروعًا فكريًا حيويًا وحاضرًا، من خلق الحُجُب والسنين، قادرًا على قول المعنى والباطن والجوهر، في ضوء المفاهيم الفكرية الحديثة.

# عبادة الفرد والانتفاضة ومقارعة اختزال السوريين

■ عبد اللّه أمين الحلاق

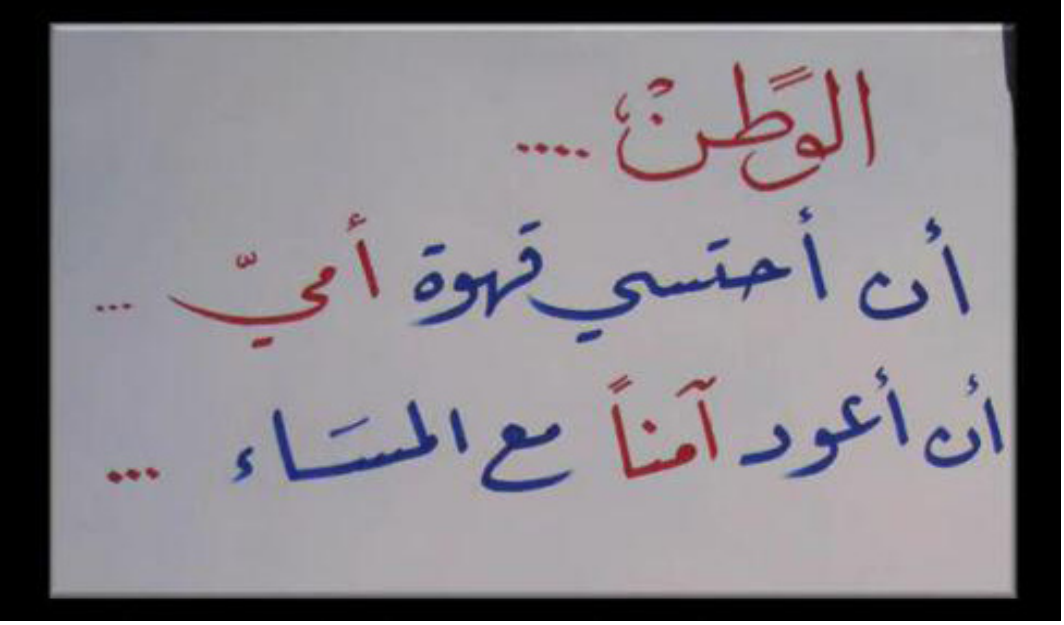


في بداية فيلمه الرائد، "الطوفان في دولة البعث"، يتحدث عمر أميرالاي عن السدود التي انهارت في سوريا ومنها كارثة سد زيزون، وعن بحيرة الأسد التي "يمتد حولها بلد، اسمه سوريا الأسد"، بحسب أستاذ السينما الوثائقية والتسجيلية.

يكمل أميرالاي حديثه عن ذلك البلد الذي "يحكمه حزب البعث منذ أربعين عاماً، من دون منازع"، كما يقول، تاركا للمشاهد أو الناقد خيارين يمكن أن تُنسب سوريا وشعبها إلى أحدهما، فهي إما أن تكون بلداً يحكمه حزب البعث، وبذا تكون الإيديولوجيا القومية البعثية هي التي تَقسر المجتمع السوري وتبقيه تحت نير الاستبداد، وإما أن سوريا تلك مرهونة بالعائلة التي توارثت البلد منذ عام 1970 وفق لازمة "سوريا الأسد"، التي ساقها المخرج تهكماً ضرورياً في مطلع الفيلم. لم يكن ثمة خيار أو احتمال لدى السوريين قبل انتفاضتهم خارج هذين الاحتمالين، علماً أنهما متلازمان وفق المسار الذي ابتدأ يوم وصل حافظ الأسد إلى السلطة.

حزب البعث وصل إلى الحكم في سوريا في 8 آذار 1963 كما هو معروف، لكنه لم يعد قائداً أو حاكماً منذ وصول الأسد الأب الذي ابتدأت معه مسيرة حكم الفرد وعبادته. لا يعني ذلك طبعاً أن سوريا كانت لتكون محظوظة بحكم الحزب الواحد لو بقي الحزب حاكماً فعلياً لها، لكنّ الانعطاف الكبير في نمط الحكم وطبيعته كفيلان إثارة مقارنة على طريقة "المضحك المبكي"، فوصول الرئيس الراحل إلى الحكم رافقته وتلته طقوس صار لزاماً على السوريين، والبعثيين خصوصاً، أن يُحيوها في كل مؤتمر قطري للحزب أو مهرجان أو مناسبة وطنية، وهذا ما بدأته القيادة القطرية لحزب البعث عام 1970 عبر تسمية حافظ الأسد "قائداً للمسيرة".

آنئذٍ بدأ الحزب بالتنازل عن كونه حاكماً لصالح الفرد الذي يستمر في حكمه عملياً حتى اليوم، أي حتى عهد الرئيس بشار الأسد الذي لم تُنزع لازمة "سوريا الأسد" في عهده حتى اليوم، برغم أن للانتفاضة السورية اليوم رأياً آخر وفعلاً شعبياً وسياسياً خارج النسق السلطوي الرسمي في هذا المجال.

يدرك السوريون اليوم جيداً أن انتفاضة الحرية والكرامة التي يخوضونها هي انتفاضة في مواجهة نمط سلطوي بدأ بالشكل الذي ذكرناه آنفاً، قوامه اختزال المجتمع السوري في حزب، تلاه تفصيل الحزب وقيادته على مقاس الفرد، أي بتعبير آخر: تقزيم المجتمع السوري وتغييب تنوعاته وأطيافه ونخبه لصالح الحاكم الذي لا ينازعه على الأمانة القطرية ورئاسة الجمهورية الوراثية أحد.

من هنا يمكن أن نفهم سبب الاستخفاف الشعبي بإلغاء المادة الثامنة من الدستور السابق، التي كانت تنص على أن "حزب البعث العربي الاشتراكي هو القائد العام للدولة والمجتمع"، ذلك أن هذا الإلغاء يأتي في سياق ما قالت السلطة إنها "إصلاحات سياسية"، كان من ضمن تلك الإصلاحات مثلاً رفع قانون الطوارئ الذي تضاءَف عدد المعتقلين بتهمة التظاهر بعد رفعه. لم يقارب أحد في السلطة بمن فيهم الرئيس نفسه موضوع نسْب البلاد إلى رئيسها السابق ووارثه الحالي، وطرح موضوع انتخاب رئاسي قريب يتنافس فيه أكثر من مرشح.

أضف، أن مقاربة هذا الموضوع سلطوياً وملامسة هذا التابو الذي تربّى جيل من السوريين عليه، إنما يعني أن ثمة أصواتاً يمكن أن تعلو من داخل السلطة السورية مطالبة بالتغيير، وهذا حلم ما بعده حلم. ذلك أن الواجهة السياسية لسوريا الأسد هي حزب البعث ومجلس الشعب و"الجبهة الوطنية التقدمية"، وهذه الأخيرة دُجّنت بما لا يسمح لها بملامسة ذلك السقف، علماً أن ذلك السقف أو الجدار المصمت الذي خيم على مملكة الصمت لعقود، قد انهار منذ بداية الانتفاضة وارتفاع هتافات الحرية وإسقاط النظام برموزه كافة.

مع مجيء الرئيس بشار الأسد إلى السلطة عام 2000، حُمّل السوريون والمعارضون التاريخيون أحلاماً وردية بالتغيير من داخل السلطة، برغم آلية التوريث على مستوى الرئاسة في بلد، نظام الحكم فيه جمهوري. سَوّقت آلة النظام كثيراً لذلك التغيير عبر تصوير الحاكم الوارث بصورة المصلح لما فسد، والشائعات ببدء حملة رسمية لنزع الصور والتماثيل التي تغص بها المكاتب والوظائف الحكومية والساحات الرسمية في سوريا، إلا أن الواقع كان مختلفاً تماماً، فقد زادت طقوس عبادة الفرد واختزال بلد وشعب ومجتمع بأكمله في شخص ذلك الفرد وبشكل لافت، ولم ينته ذلك حتى مع بدء الحراك الشعبي والانتفاضة السورية في 15 آذار 2011. لا بل إن رجال الأمن وشبّيحة النظام صاروا يتعمدون إهانة المتظاهرين وضربهم تحت شعار "اللّه، سوريا، بشار وبس"، وإجبارهم على السجود والركوع لصور الرئيس السوري في مناطق قال نظام الأسد وإعلامه إنها في كردستان العراق، من دون أن ينتهي الموضوع طبعاً في مسيرات التأييد "العفوية" وهتافات المؤيدين العفويين "مطرح ما بتمشي وبتدوس... نحنا منركعلك منبوس".

بعض الفقهاء ورجال الدين والإسلام السياسي لم يكونوا بعيدين عن تلك الظاهرة، فالسيد حسن نصر اللّه لم يكفّ منذ أكثر من عقد حتى اليوم عن توجيه التحية تلو الأخرى لـ"سوريا الأسد" من قلب الضاحية الجنوبية لبيروت، برغم الموت العميم الذي يحيق بالسوريين من جراء ممارسات النظام السوري، ولم ين الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي بدَوره عن مقاربة موضوع عبادة الفرد على طريقته الخاصة وهو يسهّل اعتقال المتظاهرين وضربهم في حرم الجامع الأموي في وقت كانت ساحة المسجد تغص بحاملي الهراوات والعصي الكهربائية من "مصلّين" يهتفون: "اللّه، سوريا، بشار وبس". وللبوطي موقف سابق من الأسد الأب مفاده أن هذا الأخير هو "صاحب المواقف التي انبعثت عن إلهام رباني".

على مستوى الكتابة والنشر وحرية التعبير، بقيت مقاربة الرئيس السوري بمثابة تابو وخطاً أحمر لا يجرؤ على اجتيازه إلا قلة، برغم صدور قانون لحرية الصحافة والنشر في سوريا، حيث لم تخل سجون النظام من الصحافيين والكتّاب، وهذا دليل آخر على هزالة القوانين والإصلاحات الشكلية في ظل بقاء النظام على ما هو عليه ضمنياً وواقعياً. لا حرج في أن يعرف القارئ أن أصابع كاتب هذه المقال ترتجف أثناء كتابته خوفاً من ردود فعل "حزمة الإصلاحات" العتيدة عليه.

مؤيدو النظام يعيشون هوساً اسمه الأسد، يربطون مصيرهم به وبنظامه، تلك حالة تضافر على تكريسها عنف سلطوي وأجهزة بوليسية فتكت بالمجتمع والسوريين، وخطاب إعلامي بروباغندي اخترق رؤوس الكثيرين عبر التخويف من أخطار جمة قد تصيب

### البلاد والعباد إن مس النظام أو رئيسه مكروه

في شوارع المدن السورية، كثيرةٌ هي الجدران التي تشهد عبارات مكتوبة بالخط العريض تقوامها الولاء القطيعي للرئيس العتيد، كأن تقرأ مثلاً: "الأسد أو لا أحد. بالروح بالدم نفديك يا بشار. عاشت سوريا الأسد وتسقط المعارضة" وهلم.

غير أن جموع السوريين المنتفضة في مواجهة كل ذلك العسف المادي والمعنوي قالت كلمتها أخيراً، ولم تعد الشعارات الرنانة أو الإعلام السوري الكاذب ولا الصحافة الرسمية الصفراء، بقادرة على حجب ضوء الشمس، كما لم يعد القتل اليومي للمتظاهرين واعتقال الأحرار حائلاً بين سوريا وانبلاج فجر حريتها.

إنه أفق يرسمه السوريون بدمائهم وتضحياتهم، في مواجهة المجنزرات والآليات وأجهزة الأمن والجيش الذي يضم في صفوفه كثيرين داسوا على أجساد الأحرار وأجبروهم على تقبيل صور الرئيس، في مشاهد مؤثرة كانت سوريا بحاجةٍ إلى مخرج من طراز عمر أميرالاي مثلاً ليوثقها إلى جانب ذلك "الطوفان" البشري الهادر بهتافات الحرية والتغيير. عندها، ربما كنا سنسمع عمراً يقول: "حول بحيرة الأسد، يمتد اليوم بلد، كان يسمى قبل عام: سوريا الأسد".

النهار اللبنانية 31 / 3 / 2012

## شهداء سورية

**مجموع الشهداء (12112)**

دمشق: 228
ريف دمشق: 1071
حمص: 5016
حلب: 244
حماه: 1244
اللاذقية: 242
طرطوس: 56
درعا: 1294
دير الزور: 433
الحسكة: 44
القنيطرة: 13
الرقة: 57
ادلب: 2165
السويداء: 5

1080 عدد العسكريين
11032 عدد المدنيين
745 عدد الإناث
193 عدد الأطفال الإناث
668 عدد الأطفال الذكور

المصدر: إحصائية قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية 30 / 3 / 2012
http://syrianshuhada.com